Semantic fields and mechanisms of meaning production in Badawi al-Jabal's poem "The Strange Nightingale": A linguistic approach

Heba Ali Damer [*]

Dr. Bana Bilal Shabani[**]

Dr. Muhammad Hassan Younis[***]

(Received 18 / 5 / 2026. Accepted 25 / 6 / 2025)

□ ABSTRACT □

In the poem "The Strange Nightingale" by Badawi al-Jabal, a complex semantic structure emerges that transcends direct lexical observation toward emotional reality. Semantic fields intertwine to form a cosmic vision where the self merges with homeland and humanity. The field of suffering and pain dominates the text as a regulating emotional nucleus. The text moves from the burning ego to childhood, embodied in the grandson Muhammad. The semantic fields of place, values, and religion operate through contrast; the parallelism between the child's physiological movements—cooing and crawling—and the value of Eid elevates the mundane to the sacred. The evocation of Syrian geography is not topographical description, but a summoning of identity in the face of alienation. The nightingale's symbolism transforms the experience from a personal cry into a cosmic song transcending places, balancing loss's melancholy with creation's joy.

Badawi al-Jabal's semantic fields are not mere lexical classification, but tools of cognitive excavation that turn personal pain into existential philosophy, and exile into spiritual transcendence. The word does not remain confined to its static lexical denotation; rather, it generates worlds of suggestive connotations that reshape reality according to the creator's vision.

Keywords: semantic fields, meaning, effect, guidance, Badawi al-Jabal's, strange nightingale.

Copyright **:**Latakia University journal (Formerly Tishreen) -Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

[*] **PhD Student - Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Human Sciences - Latakia University (Formerly Tishreen) - Syria. heba.damer@latakia-univ.edu.sy**

**** Associate Professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Latakia University(Formerly Tishreen) , Syria specializing in Philology. Bana.shbani@latakia-univ.edu.sy**

***** Assistant Professor in the Arabic Language Department, Faculty of Arts, Latakia University(Formerly Tishreen), Syria. Mohamad.younes@latakia-univ.edu.com**

الحقول الدّلاليّة وآليّات إنتاج المعنى
في قصيدة (البلبل الغريب) لبدوي الجبل مقاربة لسانيّة

هبه علي ضامر *

د. بانا بلال شباني**

د. محمّد حسن يونس***

(تاريخ الإيداع 18 / 5 / 2026. قُبِل للنشر في 25 / 6 / 2026)

□ ملخّص □

تتجلّى في قصيدة (البلبل الغريب) لبدوي الجبل بنية دلاليّة مركّبة تتجاوز الرّصد المعجميّ المباشر إلى فضاء الواقعيّة الوجدانيّة، فتتشابك الحقول الدّلاليّة لتشكّل رؤية كونيّة تنصهر فيها الذّات بالوطن والإنسانيّة، فيهيمن حقل (المعاناة والألم) على النّصّ، بوصفه بؤرة شعوريّة ناظمة، وينتقل النّصّ من فضاء (الأنا) المحترقة إلى حيّز الطّفولة (الحفيد محمّد)، وتشتغل الحقول الدّلاليّة (المكان، القيم، الدّين) وفق التّضاد، فالتّوازي بين حركات الطّفل الفسيولوجيّة (ناغى، حبا) وقيمة (العيد) يرفع اليوميّ إلى مصاف المُقدَّس، ولم يكن استحضار الجغرافيا السّوريّة وصفاً طبوغرافيّاً، بل هو استحضار للهوية في مواجهة الاغتراب، لينتهي النّصّ برمزيّة (البلبل) التي تنقل التّجربة من صرخة ذاتيّة إلى أغنية كونيّة تتسامى فوق الأمكنة، محقّقة التّوازن بين شجن الفَقد وبهجة الإبداع.

إنّ الحقول الدّلاليّة عند بدوي الجبل ليست مجرّد تصنيف للمفردات، بل هي أدوات حفر معرفيّ حوّلت الألم الشّخصيّ إلى فلسفة وجوديّة، والمنفى إلى محراب للتّسامي الرّوحيّ، فلم يقف اللفظ عند حدود دلالته المعجمية الساكنة، بل شكّلَ عوالمَ من الدلالات الإيحائية التي أعادت صياغة الواقع وفق رؤية المبدع.

الكلمات المفتاحيّة: الحقول الدّلاليّة، المعنى، الأثر، توجيه، بدوي الجبل، البلبل الغريب.

حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **طالبة دكتوراه – قسم اللّغة العربيّة – كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)– اللاذقيّة- سورية.**
heba.damer@latakia-univ.edu.sy

** **أستاذ مساعد – قسم اللّغة العربيّة – كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً) – اللاذقيّة- سورية.**
Bana.shbani@latakia-univ.edu.sy

*** **مدرّس – قسم اللّغة العربيّة – كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة اللاذقية(تشرين سابقاً) – اللاذقيّة- سورية.**
Mohamad.younes@latakia-univ.edu.com

مقدّمة:

تُعدّ لغة الشّعر مختبراً حيويّاً تتقاطع فيه البنى اللّغويّة مع التّجارب الوجوديّة، فلا يقف اللفظ عند حدود دلالته المعجميّة السّاكنة، بل يتسامى ليشكّل عوالم من الدّلالات الإيحائيّة التي تُعيد صياغة الواقع وفق رؤية المبدع، وفي هذا السّياق، تبرز نظريّة الحقول الدّلاليّة بوصفها مقاربةً لسانيّةً ومنهجاً تحليليّاً يسعى إلى رصد النُّظم العلائقيّة بين المفردات، وكشف الكيفيّة التي تنتظم بها الوحدات اللّغويّة تحت مفاهيم كبرى توجّه دقّة المعنى في النّصّ الأدبيّ، ومن هنا كان هذا البحث بعنوان: (الحقول الدّلاليّة وآليّات إنتاج المعنى في قصيدة (البلبل الغريب) لبدوي الجبل مقاربة لسانيّة)، منطلقاً من السّؤال المهمّ: ما الميكانيزمات التّأويليّة التي تحوّل الحقول الدّلاليّة إلى خطاب شعريّ؟.

وتكتسب هذه الدّراسة أهمّيّتها من خلال تسليط الضّوء على تجربة بدوي الجبل في قصيدته (البلبل الغريب)؛ وهي تجربةٌ تمثل ذروة الواقعيّة الوجدانيّة في الشّعر العربيّ الحديث، فالنّصّ ليس مجرّد بوحٍ عاطفيّ، بل هو بنية فلسفيّة معقّدة تتصادم فيها أوجاع الاغتراب مع براءة الطّفولة، وقداسة المكان مع عناء السّفر، ما يجعل من دراسة حقولها الدّلاليّة ضرورةً منهجيّة للكشف عن المنطق الدّاخليّ الذي يحكم هذه المتناقضات.

وتتمحور إشكاليّة البحث حول الكيفيّة التي استطاع بها البدوي تطويع المعجم الشّعريّ لكسر التّوقّعات اللّغويّة التّقليديّة؛ إذ نلحظ انزياحاً دلاليّاً فريداً يستحيل فيه الألم إلى لذّة جماليّة، والغربة إلى فعل خلق، والضّعف الطّفوليّ إلى سلطة سياديّة قادرة على ترويض عنفوان الشّاعر.

ويسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها:

1- تفكيك البنية المعجميّة للقصيدة وتصنيفها في حقول دلاليّة رئيسة وفرعيّة (المعاناة، الطّفولة، المكان، القيم، الدّين).

2. استقصاء العلاقات المنطقيّة (التّضاد، التّلازم، الإحالة) التي تربط بين هذه الحقول وتوجّه مسارات التّأويل لدى المُتلقّي.

3. الكشف عن الدّور الوظيفيّ للحقول الدّلاليّة في تحويل التّجربة الذّاتيّة من نطاق الشّكوى الضّيّق إلى رحاب الفلسفة الوجوديّة والكونيّة.

إنّ هذه الدراسة، إذ تتّخذ من (البلبل الغريب) مجالاً تطبيقيّاً، فإنّها تسعى إلى بيان كيف غدت الحقول الدّلاليّة عند بدوي الجبل أدوات لبناء هوية إبداعيّة عصيّة على التّكرار، تمزج بين شجن الجرح وطرب النّغم في وحدة عضويّة فريدة.

يعتمد البحث المنهج الوصفيّ مستنداً إلى الاستقراء المعجميّ، عبر حصر المفردات والتّركيبات اللّغويّة وتصنيفها وفق نظريّة الحقول الدّلاليّة، والتّحليل السّياقيّ، وذلك بدراسة المفردة داخل السّياق الشّعريّ للكشف عن معانيها الثّواني، بعيداً عن الجمود القاموسيّ، ورصد الثنائيّات الضّدّيّة التي تشكّل البنية العميقة للنّصّ، ليبين كيف تُبنى المفارقة الدّلاليّة، وتربط النّتائج بالرّؤية الوجوديّة للشّاعر، لتحويل الأرقام والإحصاءات اللّغويّة إلى دلالات إنسانيّة ومعرفيّة شاملة.

وعليه، فقد انتظم البحث في مقدّمة وتعريف بالحقل الدّلاليّ، وقصيدة (البلبل الغريب)، ثمّ انتقل إلى دراسة الحقول الدّلاليّة في قصيدة البلبل الغريب وأثرها في توجيه المعنى، وتوزّعت على خمسة حقول أساسيّة هي: حقل المعاناة والأسى، وحقل الطّفولة، وحقل المكان، وحقل القيم، والحقل الدّينيّ، وقد تضمّن كلّ حقل عدداً من الحقول

الفرعيّة التي شكّلت عناصره الأساسيّة، وانتهت الدّراسة بخاتمة تضمّنت أهمّ النّتائج التي توصّل إليها البحث، وثبت بالمصادر والمراجع.

مفهوم الحقل الدّلالي:

يتكوّن الحقل الدّلاليّ من مفردتين اثنتين هما: الحقل، والدّلالة، وللمفردتين معانٍ معجميّة لغويّة، وأخرى اصطلاحيّة، نُبيّنها وفقاً للآتي:

الحقل لغة:

جاء في معنى الجذر (حقل) ما يأتي: الحقل: الموضع البكر الذي لم تتمّ زراعته قبل ذلك[1]. فالحقل هو المساحة المحدّدة التي تمتدّ على طولٍ ما، وعرضٍ ما، ولها تضاريسها وحدودها.

الحقل اصطلاحاً:

هو "العمود الذي تندرج ضمنه وحدات لغويّة تجمعها خصائص مشتركة، كالألوان والأمراض، والصّفات وغيرها، فهو يجمع كلمات مرتبطة دلاليّاً تُصنّفُها –ضمنَ لفظٍ عامّ في زمن محدّد– لغةٌ معيّنةٌ محدّدةٌ"[2].

فالحقل مجال دلاليّ لجزئيّات ترتبط فيما بينها بصلة ما، وهذه الجزئيّات قد تكون كلماتٍ أو محسوسات، أو مجرّدات، أو أفعال، أو غير ذلك، فالحقل في لغة الاصطلاح حقل ممتدّ متّسع، وله في كلّ مجال مساحة خاصّة؛ لأنّ الانطلاق من الرّؤية العامّة للأجزاء يسهّل فهم علاقة الأجزاء بعضها مع بعض؛ فالحقل الدّلاليّ يهب الدّارس والمتلقّي كثيراً من المستويات المعرفيّة المتعلّقة بالدّلالات المتنوّعة.

الدّلالة لغة:

وردت في لسان العرب تحت الجذر اللغويّ (دلل)، وفيها: "الدّليل ما يستدلّ به، والدّليل: الدّالّ، وقد دلّه على الطّريق يدلّه دلالة بفتح الدّال أو كسرها أو ضمّها، والفتح أعلى... والدّليل والدّليلي الذي يدلّك.. والدّليلي علمه بالدّلالة ورسوخه فيها، ... أدلّة: جمع دليل"[3]، فالمعنى لدى ابن منظور انحصر في نطاق العلم والإرشاد.

الحقل الدّلاليّ:

شكّلت الحقول الدّلاليّة محاور مهمّة في ميدان التّأسيس لمعالجات كثيرة تستدعيها تلك الحقول، ويمكن الوقوف على مفهومه وفق الآتي: الحقل الدّلاليّ "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عامّ يجمعها"[4]، وهذه الكلمات لها حضورها القويّ في فتح المجال للاتّساع الدّلاليّ، وتعميق فاعليّات الدّلالات المختلفة، ويرى ليونز أنّ الحقل اللغويّ "مجموعة جزئيّة لمفردات اللغة"[5]، إنّها مجموعة تربطها حدود منظّمة. والحقول الدّلاليّة تستدعي العلاقة بين الدّالّ والمدلول، وهي علاقة موجودة منذ الأزل، فهناك دائماً ارتباط بين هيكليّة القول وصياغته، وبين ما يؤدّيه من دلالة.

---

[1] ينظر: ابن منظور. لسان العرب، تصحيح: أمين محمّد عبد الوهّاب، ومحمّد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ الإسلاميّ، بيروت – لبنان، ط3، 1419 هـ – 1999 م، مادّة (حقل).

[2] عبد الجليل، عبد القادر. علم اللسانيّات الحديثة، دار صفاء، عمّان – الأردن، ط1، 2002م، ص370.

[3] ابن منظور. لسان العرب، مادّة (دلل).

[4] عمر، أحمد مختار. علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط4، 1993م، ص79.

[5] المرجع السّابق، ص79.

المضمون الموضوعيّ القصيدة:

موضوع القصيدة هو جدليّة الفَقد والاستعادة، فَقَد الشّاعر الاستقرار والشّباب والوطن، لكنّه استعادها جميعاً من خلال براءة الحفيد، وقداسة الألم، وجماليّات اللغة، إنّها نصّ يمثل الواقعيّة الوجدانيّة في أبهى صورها، إذ تلتحم العاطفة الذاتيّة بالقضايا الإنسانيّة والوطنيّة الكبرى، فهي "نصّ تجتمع فيه هواجس الذّات المغتربة، والأمّة المقهورة"[6].

لا يفتتح البدوي قصيدته بتمهيد تقليديّ، بل يطرح فلسفة المعاناة بوصفها شرطاً للوجود والتّرقيّ الروحيّ، فالموضوع هنا ليس شكوى بل استسقاء للألم، فتلازم الاحتراق والاخضرار في قوله (فما اخضلّ هذا القلب حتّى تلهّبا)؛ إذ يطرح الشّاعر موضوعاً وجوديّاً مفاده أنّ الخصب الرّوحيّ وليد الاحتراق الوجدانيّ، فالحزن هنا ليس عارضاً نفسيّاً، بل هو فعل خلق جماليّ يُضاهي عمل الفنّان الذي يبدع تحفته، ويصرّ الشّاعر على الحزن المتفرّد، فهو يرفض الحزن المجرَّب والمستهلك، ويطلب حزناً (مشبوب اللظى) يُصاغ له وحده.

وينتقل الموضوع من الذّات المحترقة إلى الطّفل (الحفيد)، وهنا يتحوّل محمّد من شخص حقيقيّ إلى رمز للخلاص، فيطرح البدويّ موضوعاً سيكولوجيّاً عميقاً؛ كيف يروّض الطّفل (فحلاً معرق الزّهو) مثل الشّاعر؟ الطّفل هنا هو القوّة النّاعمة التي كسرت كبرياء البدوي وأعادته إلى فطرة الإيثار، فحين يقول (من أجل الطّفولة وحدها أُفِض بركات السّلم)، فإنّه يرفع الموضوع العائليّ إلى مصاف القضيّة الكونيّة، والطّفل هو المبرّر الوحيد لاستمرار الحياة واستحقاق الأرض لرحمة السّماء.

الموضوع في النّصف الثاني من القصيدة يتحوّل إلى تصفية حساب مع الوطن والمنفى، فيبرز موضوع الحبّ غير المشروط للوطن، على الرّغم من التّنكّر والجفاء (تنكّر لي عند المشيب)، فيرفض الشّاعر ممارسة العدميّة الوطنيّة، بل يحوّل الجرح إلى صلاة، ويستعرض الشّاعر الذاكرة المكانيّة: (دمشق، اللاذقيّة، حماة، حمص، حوران، الجزيرة)؛ هذا السّرد الجغرافيّ ليس وصفاً للطّبيعة، بل هو استحضار للهوية في مواجهة الغربة، فالمكان هنا مقدّس يُستسقى له الغمام بصيغة تضرّع صوفيّ.

وفي الختام، يتجلّى الموضوع في سيرة الاغتراب، فالشّاعر يلخّص ذاته في صورة (البلبل) الذي شرّق وغرّب دلالة على التّيه المكانيّ والسّياسيّ، وانغمس في العطر الإلهيّ دلالة على التّسامي الرّوحيّ فوق الجراح، وغنّى على نأي دلالة على أنّ الإبداع الحقيقيّ هو نتاج المسافة (النّأي) بين الشّاعر ومبتغاه.

الحقول الدّلاليّة في قصيدة البلبل الغريب وأثرها في توجيه المعنى:

تعدّدت الحقول الدّلاليّة في قصيدة بدوي الجبل (البلبل الغريب)، فكانت عناوين الحقول الأساسيّة: حقل المعاناة والألم، حقل الطّفولة، حقل المكان، حقل القيم والأخلاق، الحقل الدّينيّ، وقد ضمّ كلّ حقل من هذه الحقول حقولاً دلاليّة متفرّعة عنه سنُبيّنها في موضعها.

1- حقل المعاناة والألم:

يُعدّ الأسى في التّجربة البدويّة حالةً وجوديّةً تتجاوز الانفعال العابر لتصبح بؤرةً شعوريّةً ناظمةً للأقوال والأفعال؛ فالبدوي، بوصفه شاعراً خبر المعاناة في أقصى تجلّياتها، استطاع ببراعة فنّيّة تحويل ذاتيّة الهمّ ووحشة الاغتراب إلى أنساق شعريّة تتّسم بالوحدة العضويّة والانسجام المطلق.

---

[6] اسليم، فاروق. الصّحراء في شعر بدوي الجبل، ضمن كتاب: وقائع النّدوة العربيّة عن الشّاعر العربيّ الكبير بدوي الجبل، إعداد وجمع: الأستاذ نزيه الخوري، منشورات وزارة الثقافة، سورية، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، الكويت، 2007م، ص311.

وقد "اصطبغ شعر بدوي الجبل منذ تجاربه الشّعريّة الأولى بالوجدانيّة الحزينة"[7]، فقد تشكّلت هوية البدويّ الإبداعيّة عبر سلسلة من الفواجع الوجوديّة والمنعطفات القسريّة؛ فالاغتراب لم يكن جغرافيّاً فحسب، بل كان وجدانيّاً تعمّق برحيل المرجعيّة الأموميّة، وتكرّس بفقدان الابنة، ثمّ تكلّل بمأساة رحيل الأب وراء قضبان المستعمر الفرنسيّ، أضف إلى ذلك، فقدان رفاق الدّرب الذين سقت دماؤهم تراب الوطن[8].

ويبرز حقل المعاناة والأسى في قصيدة (البلبل الغريب) في قول الشّاعر[9]:

سَـلِي الجَمْـرَ هَـلْ غَـالَى وَجُـنَّ وَعَـذَّبَا ... كَفَـرْتُ بِـهِ حَتَّـى يَشُـوقَ وَيَعْـذُبَا
وَلا تَحْرِمِيْنِـي جُـذْوَةً بَعْـدَ جُـذْوَةٍ ... فَمَـا اخْضَـلَّ هَـذَا القَلْـبُ حَتَّـى تَلَهَّبَـا
وَمَـا نَـالَ مَغْنَـى القَلْـبِ إلاَّ لِأَنَّـهُ ... تَمَـرَّغَ فِـي سَـكْبِ اللَّظَـى وَتَقَلَّبَـا
هَبِيْنِـي حُزْنَـاً لَـمْ يَمُـرَّ بِمُهْجَـةٍ ... فَمَـا كُنْـتُ أَرْضَـى مِنْـكِ حُزْنَـاً مُجَرَّبَـا
وَصُـوْغِيْهِ مَشْـبُوبَ اللَّظَـى وَتَخَيَّـرِي ... لِآلامِـهِ مَـا كَـانَ أَقْسَـى وَأَغْرَبَـا
فَمَـا الحُـزْنُ إلاَّ كَالجَمَـالِ، أُحِبُّـهُ ... وَأَتْرُفُـهُ، مَـا كَـانَ أَنْـأَى وَأَصْـعَبَا
سَـقَانِي الهَـوَى كَأْسَـيْنِ: يَأْسَـاً وَنِعْمَـةً ... فَيَـا لَـكَ مِـنْ طَيْـفٍ أَرَاحَ وَأَتْعَبَـا
وَخَـالَطَ أَجْفَـانِي عَلَـى السُّـهْدِ وَالكَـرَى ... فَكَـانَ إِلَـى عَيْنِـي مِـنَ الجَفْـنِ أَقْرَبَـا
وَنَـاوَلَنِي مِـنْ أَرْزِ لُبْنَـانَ نَفْحَـةً ... فَعَطَّـرَ أَحْزَانِـي وَنَـدَّى وَخَصَّـبَا
يَجُـورُ وَبَعْـضُ الجَـوْرِ حُلْـوٌ مُحَبَّـبٌ ... وَلَـمْ أَرَ قَبْـلَ الطِّفْـلِ ظُلْمَـاً مُحَبَّبَـا
وَإِنْ نَالَـهُ سُـقْمٌ تَمَنَّيْـتُ أَنَّنِـي ... فِـدَاءً لَـهُ كُنْـتُ السَّـقِيْمَ المُعَـذَّبَا

***

وَيَـا رَبِّ أَحْزَانِـي وِضَـاءٌ كَـأَنَّنِي ... سَـكَبْتُ عَلَـيْهِنَّ الأَصِـيْلَ المُـذَهَّبَا
وَقَـدْ تَبْهَـرُ الأَحْـزَانُ وَهِـيَ سَـوَافِرٌ ... وَلَكِـنَّ أَحْلاهُـنَّ حُـزْنٌ تَنَقَّبَـا

***

تَغَـرَّبَ عَـنْ مُخْضَـلَّةِ الـدَّوْحِ بُلْبُـلٌ ... فَشَـرَّقَ فِـي الـدُّنْيَا وَحِيْـداً وَغَرَّبَـا
تَحَمَّـلَ جُرْحَـاً دَامِيَـاً فِـي فُـؤَادِهِ ... وَغَنَّـى عَلَـى نَـأي فَأَشْـجَى وَأَطْرَبَـا

يقوم النّصّ على علاقة دلاليّة كبرى (علاقة الإضافة) تكسر التّوقّع اللغويّ التّقليديّ، وهي الجمع بين المؤلم والمبهج، تتجلّى في: (الجور حلو، ظلم محبّب، أحزاني وضاء، أشجى وأطربا)، هذه العلاقة ليست مجرّد تلاعب لفظيّ، بل هي بنيّة عميقة توجّه النّصّ نحو مذهب (اللذّة الرّوحيّة النّاتجة عن المعاناة)، إنّها تقلب دلالة الألفاظ؛ فالحزن الذي يمثّل سلباً في المعجم، يصبح في النّصّ إيجاباً جماليّاً، ما يخلق توتّراً دلاليّاً يشدّ القارئ لإعادة تأويل مفهوم السّعادة.

[7] فروجي، رابح. التّجربة الشّعريّة في شعر بدوي الجبل، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. امحمّد عزوي، جامعة فرحات عبّاس، سطيف – الجزائر، 2012م، ص126.

[8] ينظر: سعيد، مبارك. الجماليّة في شعر بدوي الجبل، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق – سورية، ط1، 2024م، ص99.

[9] بدوي الجبل. ديوان بدوي الجبل، دار العودة، بيروت– لبنان، ط1، 1987م، ص158–160، 163–164، 169.

وتبرز العلاقة السّببيّة عبر ربط الشّاعر بين الاحتراق والتّحقّق، فيصبح الألم شرطاً وجوديّاً للصّيرورة، ففي قوله: (ما اخضلّ القلب حتّى تلهّبا)، (ما نال معنى القلب إلا لأنّه تمرّغ في سكب اللظى) تعمل أدوات الرّبط (حتّى، إلا لأنّه) روابط منطقيّة تؤسّس لعلاقة تلازميّة بين العذاب والكمال، فالدّلالة هنا تخرج من سياق العاطفة إلى سياق الفلسفة الوجوديّة؛ فلا يمكن للذّات أن تصل إلى جوهرها (الاخضلال والمعنى) من دون المرور ببرزخ الألم.

وينتقل النّصّ في مقطعه الأخير من (الأنا) الصّريحة إلى الرّمز (البلبل)، وهي علاقة إحالة رمزيّة تعمّق المعنى، (بلبل ← وحيداً ← جرحاً دامياً ← غنّى)، وهذه العلاقة الدّلاليّة تنقل النّصّ من التّجربة الذّاتيّة إلى التّجربة الكونيّة، فالألم هنا يتحوّل من صرخة شخصيّة إلى أغنيّة عابرة للأمكنة (شرّق وغرّب)، ما يمنح النّصّ ثقلاً وجوديّاً.

وعند مقاربة النّصّ الشّعريّ نجد أنّ الحقول الدّلاليّة للمعاناة والألم لا تقتصر على المعجم اللفظيّ المباشر، بل تمتدّ لتشكّل بنيّة شعوريّة متكاملة تقوم على مفارقة لذّة الألم، فالشّاعر هنا لا يشتكي الألم لينفر منه، بل يستحضره بوصفه عنصراً تطهيريّاً يُعيد صياغة كينونته.

وتتجلّى الحقول الدّلاليّة الدّالّة على المعاناة والألم في النّصّ في:

– **حقل الاحتراق واللظى (المعاناة الحسّيّة):** ويمثل هذا الحقل ذروة الألم المادّيّ الذي يتحوّل إلى صهر روحيّ، ويضمّ المفردات الآتيّة:

الجمر، عذّبا، جذوة، تلهّبا، سكب اللظى، مشبوب اللظى

فالألم هنا ليس عارضاً، بل هو نار تعيد صياغة القلب؛ فقوله: (فما اخضلّ هذا القلب حتّى تلهّبا) يشير إلى أنّ الحيويّة والخصوبة الرّوحيّة ناتجة بالضّرورة عن الاحتراق.

– **حقل الألم النّفسيّ والوجدانيّ (السّيكولوجيّ):** ينتقل الشّاعر من الاحتراق الخارجيّ إلى التفتت الدّاخليّ، مركّزاً على الحزن بوصفه حالة وجوديّة، ويضمّ المفردات الآتيّة:

حزناً، آلامه، أقسى، أصعبا، يأساً، أتعَبا، أحزاني

يرفض الشّاعر الحزن التّقليديّ (حزناً مجرّباً)، ويبحث عن المعاناة الفريدة (أقسى وأغربا)، ما يرفع الألم من مستوى العاطفة العابرة إلى مستوى الجمال الرّفيع.

– **حقل الاعتلال العضويّ والجسديّ (الفزيولوجيّ):** يظهر الألم في الجسد صدى لآلام الرّوح، ويتجلّى في مظاهر السّقم والأرق، ويضمّ المفردات الآتيّة:

سُقم، السّقيم، المعذّبا، السُّهد، جرحاً دامياً

توظيف السّقم والجرح الدّامي يظهر استلاب الذّات أمام المحبوب، فيصبح التّعذيب الجسديّ غايّة يُتمنَّى فداؤها.

– **حقل الاغتراب والوحشة (المعاناة الوجوديّة):** يرتبط الألم هنا بالبعد المكانيّ والزّمانيّ والنّفسيّ، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتيّة:

تغرّب، وحيداً، نأي، أنأى، جوراً، ظلما

تجلّى هذا في صورة البلبل الذي يحمل جرحه ويغنّي في منافيه، فالغربة هنا ليست مكانيّة فحسب، بل هي غربة الرّوح التي تجد في الجور والظّلم حلاوةً، وهي مفارقة دلاليّة تجمع بين المتناقضات.

في هذا النّصّ تتشابك الحقول الدّلاليّة لتوجيه المعنى نحو تجميل العذاب وإعادة تعريف العلاقة بين الذّات والألم، فهي توجّه المعنى عبر التّقابل الضّدّيّ، فقد اعتمد الشّاعر استراتيجيّة دمج حقلين متناقضين (حقل الألم وحقل اللذّة/الجمال)

لتوجيه المعنى نحو مفهوم الألم الخلّاق، نجد ذلك في عبارات مثل: (أحزاني وضاء، الجور حلو، أحلاهنّ حزن تنقّبا)، وهذا التّداخل يوجّه المُتلقّي لفهم أنّ الألم في عُرف الشّاعر شرط للجمال والرّفعة، فقد نقل الشّاعر الحزن من دائرته السّلبيّة (الكآبة) إلى دائرته الإيجابيّة (الإشراق والوضاءة).

واستخدم الشّاعر حقل (الاحتراق المادّيّ: جمر، لظى، جذوة) ليوجّه المعنى نحو (النّضج الرّوحيّ)، فلم يقل الشّاعر: (احترقت) بل قال: (تتمرّغ في سكب اللظى وتقلّبا)، وهذا الحقل يوجّه المعنى نحو فكرة التّطهير بالنّار، فالقلب لا ينال معناه الحقّ، ولا (يخضلّ) يرتوي إلا إذا مرّ بمرحلة التّلهّب، وهنا يتحوّل الحريق من أداة إتلاف إلى أداة بعث وإحياء، وهو توجيه دلاليّ عميق يربط بين الفناء والخلود.

وحرص الشّاعر من خلال حقل (الغرابة والنّدرة: لم يمرّ بمهجة، غير مجرّب، أغربا، أنأى) على توجيه المعنى نحو نخبويّة المعاناة، فالشّاعر لا يقبل بأيّ حزن، بل يطلب حزناً تفصيليّاً (مشبوب اللظى، أقسى، أغرب)، وهذا الحقل يوجّه المعنى لخدمة الأنا الشّاعرة المتميّزة؛ فالشّاعر يرى نفسه بلبلاً متفرّداً في جرحه وغنائه، فالمعاناة هنا ليست مشاعاً، بل هي هويّة تميّز المبدع من غيره، ما يحوّل الألم إلى قيمة استعلائيّة جماليّة.

ومثل انتقال الدّلالة من (أحزان الذّات) إلى (رحلة البلبل) تحوّلاً من الحقل العاطفيّ الضّيّق إلى الحقل الوجوديّ الواسع، باستخدام مفردات (شرّق، غرّب، وحيداً، نأي)، وهذا الحقل يوجّه المعنى نحو كونيّة الألم الذي بدأ (جمراً) في القلب ينتهي (تغريباً) في الدّنيا، وهذا التّوجيه يحوّل القصيدة من تجربة وجدانيّة شخصيّة إلى رمزيّة كبرى تعبّر عن مأساة الإنسان المعذّب بجماله وجرحه في آنٍ واحد.

إنّ الحقول الدّلاليّة في النّصّ كانت أدوات حفر معرفيّ وجّهت المعنى في ثلاث مسارات كبرى؛ المسار الأوّل: مسار التّماهي: إذ يذوب الألم في الجمال حتّى لا يكاد يفترقان، والثاني: مسار الوظيفة: فيصبح الألم شرطاً للخصوبة النّفسيّة والارتقاء الفنّي، والثالث: مسار الرّمزيّة: فيتحوّل الجرح الشّخصيّ إلى نغمٍ يطرب الآخرين، محقّقاً المفارقة الكبرى (فأشجى وأطربا)، وبذلك، استطاعت الحقول الدّلاليّة أن تنقل النّصّ من الشّكوى إلى الفلسفة، ومن الوجع إلى الإبداع.

2- حقل الطّفولة:

تُمثّل الطّفولة المرتكز الاستراتيجيّ وصمّام الأمان في صيرورة الأمم؛ فهي ليست مجرّد مرحلة عمريّة عابرة، بل هي الاستثمار البشريّ الأسمى واللبنة الجوهريّة في هندسة مستقبل المجتمعات، إنّ العناية بالطّفل تُعدّ مدخلاً رئيساً لتنمية الإنسان القادر على عمارة الأرض، وتعزيز الفاعليّة الوجوديّة، وضمان استدامة التّواصل الحضاريّ بين الأجيال، ويتفرّد الكائن البشريّ بمرحلة طفولة هي الأطول زمنيّاً والأكثر تعقيداً مقارنةً بسائر الكائنات الحيّة؛ وهذا الامتداد الزّمنيّ ليس مجرّد تأخير في النّضج، بل هو ضرورة نمائيّة تتيح للطّفل استيعاب الموروث الثّقافيّ والاجتماعيّ المعقّد، وبناء منظومته الإدراكيّة والسّلوكيّة[10].

ويبرز حقل الطّفولة في قصيدة (البلبل الغريب) في قوله[11]:

وَسِـــيْمَاً مِـــنَ الأَطْفَـــالِ لَـــوْلاهُ لَـــمْ أَخَـــفْ عَلَـــــى الشَّـــــيْبِ أَنْ أَنْـــــأَى وَأَنْ أَتَغَرَّبَـــــا

[10] يُنظر: زلط، أحمد. أدب الطّفولة أصوله – مفاهيمه – روّاده، الشّركة العربيّة للنّشر والتّوزيع، القاهرة – مصر، ط2، 1994م، ص21-23.

[11] بدوي الجبل. ديوان بدوي الجبل، ص160-162.

تَـــوَدُّ النُّجُـــومُ الزُّهْـــرُ لَـــوْ أَنَّهَـــا دُمَـــى لِيَخْتَـــــارَ مِنْهَـــــا المُتْرَفَـــــاتِ وَيَلْعَبَـــــا
وَعِنْـــدِي كُنُـــوزٌ مِـــنْ حَنَـــانٍ وَرَحْمَـــةٍ نَعِيْمِـــــيَ أَنْ يُغْـــــرَى بِهِـــــنَّ وَيَنْهَبَـــــا
يَجُـــورُ وَيَعْـــضُ الجَـــوْرِ حُلْـــوٌ مُحَبَّـــبٌ وَلَـــمْ أَرَ قَبْـــلَ الطِّفْـــلِ ظُلْمَـــاً مُحَبَّبَـــا
وَيَغْضَـــبُ أَحْيَانَـــاً وَيَرْضَـــى وَحَسْـــبُنَا مِـــنَ الصَّـــفْوِ أَنْ يَرْضَـــى عَلَيْنَـــا وَيَغْضَـــبَا
يَـــزُفُّ لَنَـــا الأَعْيَـــادَ عِيْـــدَاً إِذَا خَطَـــا وَعِيْـــدَاً إِذَا نَـــاغَى وَعِيْـــدَاً إِذَا حَبَـــا
كَرُغْـــبِ القَطَـــا لَـــوْ أَنَّـــهُ رَاحَ صَـــادِيَاً سَـــكَبْتُ لَـــهُ عَيْنِـــي وَقَلْبِـــي لِيَشْـــرَبَا

***

وَيَـــا رَبِّ مِـــنْ أَجْـــلِ الطُّفُولَـــةِ وَحْـــدَهَا أَفِـــضْ بَرَكَـــاتِ السِّـــلْمِ شَـــرْقَاً وَمَغْرِبَـــا
وَصُـــنْ ضِـــحْكَةَ الأَطْفَـــالِ يَـــا رَبِّ إِنَّهَـــا إِذَا غَـــرَّدَتْ فِـــي مُـــوْحِشِ الرَّمْـــلِ أَعْشَـــبَا
مَلائِـــكُ لا الجَنَّـــاتُ أَنْجَـــبْنَ مِـــثْلَهُمْ وَلا خُلْـــدُهَا – أَسْـــتَغْفِرُ اللهَ – أَنْجَبَـــا
وَيَـــا رَبِّ حَبِّـــبْ كُـــلَّ طِفْـــلٍ فَـــلا يَـــرَى وَإِنْ لَـــجَّ فِـــي الإِعْنَـــاتِ وَجْهَـــاً مُقَطَّبَـــا
صَـــلِيْبٌ عَلَـــى غَمْـــزِ الخُطُـــوبِ وَعَسْـــفِهَا وَلَـــولا زَغَالِيْـــلُ القَطَـــا كُنْـــتُ أَصْـــلَبَا

تنمّ هذه الأبيات عن تجربة شعوريّة وإنسانيّة عميقة، تتجاوز حدود العاطفة الأبويّة إلى فضاءات فلسفيّة ووجوديّة، يتمحور موضوع الأبيات حول استلاب الذّات الشّاعرة أمام سطوة الطّفولة؛ فلم يعد الطّفل مجرّد كائن بيولوجيّ، بل استحال إلى مركز ثقل وجوديّ يحدّد مسارات الخوف والرّجاء لدى الشّاعر، ويتجلّى ذلك في تحوّل القيم المعياريّة، فـ (الجور) و(الظّلم) الذي يمارسه الطّفل يستحيل (حلواً محبّباً)، ما يظهر انكسار منطق العقل أمام منطق العاطفة الفيّاضة.

ويطرح النّصّ موضوع الارتهان العاطفيّ؛ فالشّاعر الذي يصف نفسه بـ (الصّلابة) أمام الخطوب، يقرّ بأنّ هذه القوّة تتهاوى أمام (زغاليل القطا)، فالخوف من الغربة ليس خوفاً على الذّات، بل هو خوف من (الفَقد) الذي سيحرم هذا الكائن من الرّعايّة، ما يجعل الطّفولة قيداً اختيارياً ممتعاً يكبّل حرّيّة الشّاعر الوجوديّة.

يقوم النّصّ على بنيّة تقابليّة بين (الصّلابة والخشونة) و (اللين واللطافة)، ويظهر هذا في علاقة الذّات الشّاعرة (صليب، الشّيب، أصلب، موحش الرّمل) بالطّفل (وسيم، زغاليل، ضحكة، أعشبا)، فتعمل العلاقات الضّدّيّة على إبراز قدرة (اللين) على اختراق (الصّلب)، ما يحقّق التّوازن النّصّيّ بين قوّة التّجربة الإنسانيّة ورقّة الموضوع.

وتبرز علاقة الحلول والاتّحاد؛ إذ تنتقل العلاقة الدّلاليّة من (أنا) و(هو) إلى حالة من الانصهار، فيصبح وجود أحدهما شرطاً لوجود الآخر، في (لولا زغاليل القطا كنتُ أصلبا)، (لولاه لم أخف على الشّيب)، فالطّفل هنا ليس (آخر) منفصلاً، بل هو مركز الوعي للذّات الشّاعرة، هذه العلاقة الدّلاليّة (الشّرطيّة والتّبعيّة) جعلت من النّصّ وحدة عضويّة لا يمكن اجتزاء أي بيت منها من دون إخلال بالبنيّة الوجوديّة للقصيدة.

ويعيد النّصّ صياغة الدّلالات المعجميّة عبر علاقة قلب الأدوار، في: (يجور، حلو)، (ظلم، محبّب)، (ينهب، نعيمي)، فيتمّ استدعاء ألفاظ من حقل الاعتداء (جور، ظلم، نهب) وإسقاطها في سياق التّلذّذ، فينفي اللفظ معناه اللغويّ القاموسيّ ليتبنّى معنى سياقيّاً جديداً، وهو ما يمنح النّصّ كثافة دلاليّة.

وتتحرّك الدّلالة في النّصّ من المركز (الطّفل) نحو المحيط (الكون)، عبر (ضحكة الطّفل، تغريد، إعشاب الرّمل الموحش، بركات السّلم شرقاً ومغرباً)، فتعمل هذه العلاقة على توسيع المدى الدّلاليّ؛ فالعلاقة بين ضحكة الطّفل واخضرار الرّمل هي علاقة سببيّة سحريّة، تجعل من الطّفولة فاعلاً كونيّاً وليس مجرّد صفة بشريّة.

وثمّة تناغم بين الوحدات المعنويّة والوحدات الصّوتيّة، عبر التّكرار البديعيّ، في: (عيداً إذا خطا، وعيداً إذا ناغى، وعيداً إذا حبا)، وهذا التّكرار يخلق علاقة توازٍ دلاليّ، فتتساوى الحركات الفسيولوجيّة البسيطة للطّفل مع القيمة الدّينيّة والاجتماعيّة الكبرى لـ (العيد)، هذا التّوازي يرفع من شأن اليومي والعادي ليصبح مقدّساً واحتفاليّاً.

يشكّل النّصّ بنيّة دلاليّة مغلقة تتغذّى على مفارقة الضّعف السّياديّ، فالعلاقات الدّلاليّة فيه تحرّكت وفق هندسة دقيقة بدأت بالقلق الوجوديّ (الغربة)، ومرّت بالاستلاب العاطفيّ (النّهب والظّلم المحبّب)، وانتهت بالخلاص الكونيّ (السّلم والإعشاب).

وقد نجح الشّاعر في تحويل الحقل الدّلاليّ للطّفولة من وصف حالة إلى تأسيس رؤيّة للعالم، تقوم على أنّ البراءة هي المركز الأخلاقي الوحيد القادر على السّيطرة على المعاناة.

ويمكن حصر الحقول الدّلاليّة في هذا النّصّ وفق الآتي:

– **حقل الوجود البشريّ (الكيان المادّي والنّموّ):** وهو الحقل الذي يحدّد الهويّة البيولوجيّة والحركيّة للطّفل، ويظهر مراحل التّكوّن الجسديّ في أوج برائتها، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتية:

الأطفال، الطّفل، زغاليل القطا، وسيمًا، خطى، ناغى، حبا، زُغب القطا

يشير هذا الحقل إلى الضّعف المُستحبّ؛ فالشّاعر يستعير من عالم الطّير (القطا) ليرسم صورة لكائن يفتقر إلى الحمايّة، ما يثير غريزة الرّعايّة القصوى لدى المُتلقّي.

– **حقل القداسة والميتافيزيقا (الطّفل الرّمز):** ينتقل الشّاعر بالطّفل من كونه كائناً أرضيّاً إلى كونه كائناً متعالياً يتّصل بالسّماء والخلود، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتيّة:

ملائك، الجنّات، خُلدها، النّجوم الزّهر، بركات، أستغفر الله

خلع الشّاعر صفات القداسة والطّهر المطلق على الطّفولة، لدرجة جعلها معياراً للتّفوّق حتّى على الخلد والجنان، وهو ما يرفع مستوى الخطاب من العاطفة البشريّة إلى التّنزيه الفلسفيّ.

– **حقل التّفاعل الوجدانيّ والسّلوكيّ (سيكولوجيّة العلاقة):** يرصد هذا الحقل طبيعة العلاقة التّبادليّة بين الشّاعر والطّفل، وهي علاقة قائمة على كسر النّمط المنطقيّ للتّعامل الإنسانيّ، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتيّة:

كنوز حنان، رحمة، يجور، الجور حلو، ظلماً محبّباً، يغضب، يرضى، الإعنات

يبرز هذا الحقل مفهوم العدل العاطفيّ المقلوب؛ فالسّلوكيّات السّلبيّة في عُرف الكبار (الظّلم، الجور، الغضب) تصبح في حقل الطّفولة مصدراً للذة والرّضا، ما يظهر هيمنة الطّفل على المنظومة القيميّة للشّاعر.

– **حقل الخصوبة (الأثر الكونيّ):** يتجاوز أثر الطّفل حدود البيت ليشمل الطّبيعة والكون، فيتحوّل الطّفل إلى مانح للحياة، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتيّة:

الأعياد، غرّدت، أعشبا، السّلم، ضحكة الأطفال

يرتبط هذا الحقل بدلالة الاستمراريّة والبعث؛ فضحكة الطّفل هي المحرّك (للعشب) في (الرّمل الموحش)، وهي المسوّغ الوحيد لطلب السّلم العالميّ، ما يجعل الطّفولة مرادفةً للسّلام والوجود المنتج.

– **حقل الفداء والتّضحيّة (الاستجابة الانفعاليّة):** يعبّر عن موقف (الأنا) الشّاعرة تجاه الموضوع (الطّفل)، وهو حقل يغلب عليه البذل المطلق، ويضمّ هذا الحقل المفردات والتّراكيب الآتيّة:

سكبتُ له عيني، قلبي، لولاه لم أخف، لولا زغاليل القطا كنتُ أصلبا

يمثل هذا الحقل مركز النّصّ، فتذوب صلابة الذّات الرّجوليّة/الأبويّة لتتحوّل إلى تضحيّة (العين والقلب كقربان)، ما يؤكّد أنّ الطّفولة هي نقطة الضّعف الوحيدة والقويّة في آنٍ واحد.

وقد عملت الحقول الدّلاليّة (حقل الطّفولة مقابل حقل الأنا الشّاعرة) على توجيه المعنى نحو إعادة صياغة المفاهيم، فحين استخدم الشّاعر مفردات (الجور، الظّلم، الغضب) المرتبطة دلاليّاً بـ (السّلب)، ودمجها مع حقل (الحنان، الحلو، المحبّب)، وجّه المعنى نحو جماليّات القُبح المستساغ، ما أدّى إلى توجيه القارئ لإدراك أنّ الطّفولة سلطة ديكتاتوريّة ناعمة تكسر صرامة المنطق الأخلاقيّ التّقليديّ.

ولعب حقل الميتافيزيقا والقداسة (ملائك، جنّات، خلد، بركات) دوراً حاسماً في توجيه المعنى من تجربة أبويّة فرديّة إلى قضيّة وجوديّة كبرى، فانتقلت الدّلالة من (طفلي) إلى (الطّفولة) بوصفها قيمة مطلقة، فعمل هذا الحقل الدّلاليّ على توجيه المعنى ليكون نصّاً إنسانيّاً يدعو للسّلم العالميّ، فالحقول الدّلاليّة هنا لم تعد تصف كائناً، بل تصف مخلصاً قادراً على إنبات العشب في الرّمل الموحش.

واشتغل حقلا الأعضاء الحيويّة (عيني، قلبي) والوهن (صادياً، يشرب) على توجيه المعنى نحو تجسيد الحلول الوجدانيّة، فالرّبط الدّلاليّ بين عطش الطّفل (صادياً) وسكب الذّات (عيني وقلبي) يوجّه المعنى نحو التّضحيّة، والمعنى هنا لا يقف عند حدود العطف، بل يتجاوزه إلى الفناء في المحبوب، وهي مرتبة عليا من مراتب التّوجيه الدّلاليّ تجعل المُتلقّي في حالة استلاب عاطفيّ مشابهة لحالة الشّاعر.

وثمّة صراع خفيّ وجّهت الحقول الدّلاليّة بوصلته؛ وهو الصّراع بين (الصّلابة) و(الضّعف)، فاستخدام حقل الصّلابة (صليب، الخطوب، عسفها، أصلب) مقابل حقل الهشاشة (زغاليل القطا، زغب)، فكان توجيه المعنى لإثبات أنّ الضّعف البيولوجيّ (الطّفل) هو الذي يمتلك القوّة النفسيّة القادرة على تفتيت صلابة الرّجل (الشّاعر)، وهذا التّوجيه يقلب موازين القوى التّقليديّة في النّصّ الأدبيّ.

وقد وجّه حقل الحركة والنّموّ (خطا، ناغى، حبا، يزف، غرّدت) المعنى نحو ديمومة الفرح، فتتابع هذه الأفعال في حقل زمنيّ متسارع يوجّه المعنى نحو فكرة العيد المستمرّ، فتحويل الزّمن من زمن خطّي (ماضي، حاضر، مستقبل) إلى زمن دائريّ مرتبط بحركات الطّفل يمنح النّصّ صبغة الاحتفاليّة الدّائمة.

إنّ الحقول الدّلاليّة في النّصّ لم تكن مجرّد أدوات وصفيّة، بل كانت مهندساً دلاليّاً أعاد بناء الواقع؛ فوجّهت المعنى من الضّعف إلى السّيادة، ومن اليباس إلى الخصوبة، ومن الفرديّة إلى الكونيّة، وبذلك، استطاع المعجم الشّعري أن يفرض على المُتلقّي رؤيّة تأليهيّة للبراءة بوصفها المركز الذي يدور حوله الوجود.

3– حقل المكان:

تحوّل المكان في المتن المعرفيّ قديماً وحديثاً من مجرّد ظرف مادّيّ إلى مقولة وجوديّة مركزيّة؛ وذلك نظراً لجدليّة ارتباطه بالذّات الإنسانيّة من جهة، وتغلغله في البنى المعرفيّة والعلميّة المتعدّدة من جهة أخرى.

ويُعدّ (أفلاطون) أوّل من قعدّ للاستعمال الاصطلاحيّ للمكان، إذ طرحه بوصفه حيّزاً مادّيّاً قابلاً للاحتواء، فالمكان فلسفيّاً هو الوعاء الذي يحلّ فيه الشّيء، وهو المحدّد الذي يمنح الموجود تمايزه وانفصاله عن الأغيار[12].

[12] **يُنظر: العبيدي، حسن مجيد. نظريّة المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط1، 1987 م، ص19.**

ومال الفلاسفة العرب إلى تعريف المكان بوصفه الفراغ المتوهّم الذي يشغله الجسم وتنفّذ فيه أبعاده، متبنّين بذلك مرادف الحيّز للتّعبير عن هذه الفجوة المكانيّة المشغولة بالمادّة[13].

ولم ينفكّ المكان في الدّراسات المعاصرة عن كونه مركز استقطاب بحثي، وقد كرّست المعاجم الفلسفيّة الحديثة مفهوم الاحتواء، أو الأبعاد الثلاثة ركيزة أساسيّة للتّفسير[14]، وهو المفهوم الذي ظلّ مهيمناً لفترات طويلة من دون زعزعة بنيويّة؛ إذ بقيت الفلسفة الحديثة تدور في فلك هذا التّصوّر الكلاسيكيّ للمكان.

إنّ المكان في المنظور المعاصر قد غادر سجن الأبعاد الثلاثة الصّمّاء، ليدخل في فضاء المقولة الاجتماعيّة التي تُصاغ وفقاً لتجارب الجماعة البشرية وتمثلاتها الرّمزيّة، وقد سعى بدوي الجبل إلى "إعادة إنتاج الفردوس بنصّ فردوسيّ محايث... ولم يكن لهذا أن يتمّ، ...، إلا بالمحاكاة، في العناصر والتّخييل معاً، وهو ما يسوّغ ذلك العدد الهائل من المفردات الدّالّة على تلك العناصر، والتي يمكن تصنيفها على عدّة حقول دلاليّة"[15].

ويبرز حقل المكان في قصيدة (البلبل الغريب) في قول الشّاعر[16]:

وَنَـــاوِلِيْنِي مِـــنْ أَرْزِ لُبْنَـــانَ نَفْحَـــةً ... فَعَطَّـــرَ أَحْزَانِـــي وَنَـــدَّى وَخَضَّـــبَا
وَثَنَّـــى بِرَيَّـــا الغُـــوْطَتَيْنِ يُـــذِيْعُهَا ... فَهَدْهَـــدَ أَحْلامِـــي وَأَغْلَـــى وَطَيَّبَـــا
وَهَـــلْ دَلَّلَـــتْ لِـــي الغَوْطَتَـــانِ لُبَانَـــةً ... أَحَـــبَّ مِـــنَ النُّعْمَـــى وَأَحْلَـــى وَأَعْـــذَبَا
وَأَلْـــثِمُ فِـــي دَاجٍ مِـــنَ الخَطْـــبِ ثَغْـــرَهُ ... فَـــأَقْطِفُ مِنْـــهُ كَوْكَبَـــاً ثُـــمَّ كَوْكَبَـــا
وَأَعْشَـــقُ بَـــرْقَ الشَّـــامِ إِنْ كَـــانَ مُمْطِـــرَاً ... حَنُوْنَـــاً بِسُـــقْيَاهُ وَإِنْ كَـــانَ خُلْبَـــا
وَأَهْـــوَى الأَدِيْـــمَ السَّـــمْحَ رَيَّـــانَ مُخْصِـــبَاً ... سَـــنَابِلُهُ نَشْـــوَى وَأَهْـــوَاهُ مُجْـــدِبَا
مَـــآرِبُ لِـــي فِـــي الرَّبْـــوَتَيْنِ وَدُمَّـــرٍ ... فَمَـــنْ شَـــمَّ عِطْـــرَاً شَـــمَّ لِـــي فِيْـــهِ مَأْرَبَـــا

***

سَـــقَى اللهُ عِنْـــدَ اللاذِقِيّـــةِ شَـــاطِئَاً ... مُرَاحَـــاً لِأَحْلامِـــي وَمَغْنَـــى وَمَلْعَبَـــا
وَحَيَّـــا فَلَـــمْ يُخْطِـــئْ حَمَـــاةَ غَمَامُـــهُ ... وَزَفَّ لِحِمْـــصَ العَـــيْشَ رَيَّـــانَ طَيِّبَـــا
وَنَضَّـــرَ فِـــي حَـــوْرَانَ سَـــهْلاً وَشَـــاهِقَاً ... وَبَـــاكَرَ بِـــالنُّعْمَى غَنِيَّـــاً وَمُتْرِبَـــا
وَجَلْجَـــلَ فِـــي أَرْضِ الجَزِيْـــرَةِ صَـــيِّبٌ ... يُـــزَاحِمُ فِـــي السُّـــقْيَا وَفِـــي الحُسْـــنِ صَـــيِّبَا
تَبَـــرَّجَ لِلصَّـــحْرَاءِ قَبْـــلَ انْسِـــكَابِهِ ... فَلَـــوْ كَـــانَ لِلصَّـــحْرَاءِ رِيْـــقٌ تَحَلَّبَـــا
وَرَدَّ الرِّمَـــالَ السُّـــمْرَ خُضْـــرَاً وَحَاكَهَـــا ... سَـــمَاءً وَأَغْنَاهَـــا وَرَشَّ وَكَوْكَبَـــا
وَحَـــرَّكَ فِـــي البِيْـــدِ الحَيَـــاةَ وَسِـــرِّهَا ... فَمَـــا هَامِـــدٌ فِـــي البِيْـــدِ إِلاَّ تَوَثَّبَـــا

---

[13] يُنظر: صليبا، جميل. المعجم الفلسفيّ (عربي، فرنسي، إنجليزي، لاتيني)، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، 1982 م، ص412.

[14] يُنظر: ابن بغداد، أحمد. شعريّة المكان في الشّعر الجاهليّ – المعلّقات العشر أنموذجاً، رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015–2016 م، ص37–40.

[15] كليب، سعد الدّين. جماليّة المكان في شعر بدوي الجبل، ضمن كتاب: وقائع النّدوة العربيّة عن الشّاعر العربيّ الكبير بدوي الجبل، إعداد وجمع: الأستاذ نزيه الخوري، منشورات وزارة الثقافة، سورية، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، الكويت، 2007م، ص244.

[16] بدوي الجبل. ديوان بدوي الجبل، ص159–161، 165–166، 168.

أتَـــدْرِي الرُّبَـــى أَنَّ السَّـــمَاوَاتِ سَـــافَرَتْ لِتَشْـــهَدَ دُنْيَانَـــا فَأَغْفَـــتْ عَلَـــى الرُّبَـــى

يُمثل النّصّ الشّعري السابق نموذجاً لشعريّة المكان، حيث تتداخل فيه الجغرافيا الوجدانيّة بالجغرافيا الطبيعيّة، ليرسم الشّاعر خريطةً عاطفيّة لبلاد الشام (سوريا ولبنان) تتجاوز الحدود السياسيّة والماديّة نحو فضاءٍ شعوري متصل.

يتمحور النّصّ حول استحضار المكان بوصفه كياناً عضويّاً، فيعمد الشّاعر إلى بناء مشهديّة بانوراميّة لبلاد الشّام، مرتكزاً على وحدة الوجدان الجغرافيّ؛ إذ يبدأ الشّاعر من (أرز لبنان) لينساب نحو (غوطتي دمشق)، ملغياً المسافات الوجدانيّة بينهما، فالمكان هنا ليس حيّزاً جغرافيّاً ساكناً، بل هو مانحٌ للشّعور، فيتحوّل عطر الأرز وريّا الغوطتين إلى ترياقٍ يداوي الأحزان ويُهدهد الأحلام.

وتبرز براعة الشّاعر في إعلانه العشق المطلق للأرض السوريّة في حالاتها كافّة؛ فهو يعشق (برق الشّام) سواء كان ماطراً (صادقاً) أو خُلّباً (خادعاً)، ويهوى الأديم (مُخصباً) أو (مُجدِباً)، وهذا ينمّ عن ارتباط وجوديّ لا نفعيّ، فتتحوّل الأرض إلى محبوبٍ يُقبل بكلّ تقلّباته.

ينتقل الشّاعر في المقطع الثاني إلى تطوافٍ شعريّ يشمل حواضر سوريّة (اللاذقيّة، حماة، حمص، حوران، الجزيرة، وصولاً إلى الباديّة)، فهو هنا لا يصف أماكن، بل يمنح كلّ بقعة صكّ بركة عبر دعاء السُّقيا، وهو تناصٌ مع الموروث العربيّ القديم (سقى الله) [17]، لكنّه برؤيّة حديثة تمنح المكان حيويّة تدبّ حتّى في رمال الصّحراء السُّمر التي اتّخذها البدويّ رمزاً "لصحراء الحياة لا بوصفها مرجعاً جغرافيّاً"[18].

ويبرز المكان بوصفه بؤرةً مولّدة للمعنى عبر علاقات دلاليّة معقّدة، تتمثل في:

– علاقة التّضايف والامتداد (جغرافيا التّلاحم): فلا يطرح النّصّ الأمكنة بجزيئات منفصلة، بل يربطها بعلاقة (تضايف وجوديّ)، فالانتقال من (أرز لبنان) إلى (غوطتَي دمشق) عبر فعل الطّلب (ناوليني) وفعل النّتيجة (تثّنى) يخلق وحدة عضويّة، فالمكان هنا لا يتحدّد بحدود سياسيّة، بل بـ (رائحة العطر) التي تنتقل عبر الفضاء، فحوّل بذلك بلاد الشّام من جغرافيا سياسيّة إلى جغرافيا حسّيّة، وأصبح (العطر) و(الريّا) روابط دلاليّة تذيب المسافات.

– علاقة التّقابل والتّضاد (الثنائيّات الجدليّة): بنى الشّاعر نصّه على ثنائيّات ضديّة تعمل على تعميق الدّلالة وتوجيهها نحو مُطلق العشق، وتجسّدت تلك الثنائيّات في: (ممطراً ≠ خُلباً)، (ريّان ≠ مجدباً)، (سهلاً ≠ شاهقاً)، (غنياً ≠ متربا)، فهذه التّقابلات لا تهدف إلى الوصف، بل إلى إثبات شموليّة الانتماء، فقبول المكان في حالتَي (الجدب والخصب) ينقل العلاقة من المنفعة إلى القداسة، والنّصّ هنا يقرّر أنّ جوهر المكان ثابت، وما التّغيّرات الجوّيّة أو الاقتصاديّة إلا أعراض زائلة.

– علاقة الحلول والتّسامي (الرّأسيّ والأفقيّ): ثمّة علاقة دلاليّة رأسيّة تربط بين (الأرض) و(السّماء) في النّصّ، تصل ذروتها في الخاتمة، فيبدأ النّصّ بعلاقات أفقيّة (أرز، غوطة، شاطئ، سهل)، ثمّ يتحوّل فجأة إلى علاقة رأسيّة (سماوات سافرت، أغفت على الرّبى)، وهذا الانزياح يمنح النّصّ بُعداً ميتافيزيقيّاً، فالمكان (الرّبى) لم يعد مُستقبِلاً

---

[17] من ذلك على سبيل المثال قول الخنساء ترثي أخاها: سَقَى الإِلَهُ ضَرِيْحَاً جَنَّ أَعْظُمَهُ وَرُوْحَهُ بِغَزِيْرِ المُزْنِ هَطَّالِ
يُنظر: الخنساء. ديوان الخنساء، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت – لبنان، 1963م، ص109.

[18] برهم، لطفية إبراهيم. رمز الصّحراء في شعر بدوي الجبل، ضمن كتاب: وقائع النّدوة العربيّة عن الشّاعر العربيّ الكبير بدوي الجبل، إعداد وجمع: الأستاذ نزيه الخوري، منشورات وزارة الثقافة، سورية، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، الكويت، 2007م، ص262.

للغيث فقط، بل أصبح مخدعاً للسّموات، هذه العلاقة تُخرج النّصّ من الغرض القوميّ المباشر إلى فلسفة الجمال المطلق.

– العلاقات الإحاليّة (الماء عنصر تماسك): يمثّل (الماء) في النّصّ (سقى، ندى، صيب، ريق، ريّان) الرّابط الدّلاليّ الكلّيّ؛ إذ يغدو الماء قوّة تحويليّة، وهو الذي يحوّل (الرّمال السّمر) إلى (خضرة)، وهو الذي يجعل الهامد (يتوثب)، فالماء هنا هو (المُحيل) الذي يربط بين أجزاء النّصّ المتباعدة (من حوران إلى الجزيرة إلى الصّحراء)، إنّه يمثّل روح النّصّ التي تضمن استمرار تدفّق المعنى بين الأبيات.

يشكّل النّصّ بنيّة دائريّة تبادليّة، تبدأ من (الذّات) التي تطلب النّفحة، وتمرّ بـ (الجغرافيا) التي تستجيب للسّقيا، وتنتهي بـ (الكون) الذي ينحني إجلالاً لهذه الجغرافيا، والعلاقة الدّلاليّة الكبرى هي علاقة التّطابق بين الوجود والجمال؛ فالمكان في النّصّ ليس حيّزاً للعيش، بل هو علّة الوجود ومصدر القيمة الجماليّة العليا.

ويمكن حصر الحقول الدّلاليّة الدّالّة على المكان وتصنيفها وفق الآتي:

– **حقل الأعلام الجغرافيّة (الجغرافيا السّياديّة):** وهو الحقل الذي يحدّد الهويّة القوميّة والسّياسيّة للنّصّ، ويرسم حدود الشّام الكبرى في ذهنيّة الشّاعر، ويضمّ المفردات الآتيّة:

الأمكنة القطريّة/الإقليميّة	أرز لبنان، الشّام
الحواضر والمدن	اللاذقيّة، حماة، حمص
الأقاليم الطّبيعيّة	الغوطتان، حوران، أرض الجزيرة، الصّحراء، البِيد
النّطاقات المحليّة الضّيّقة	الرّبوتين، دُمَّر

– **حقل التّضاريس (مورفولوجيا المكان):** يظهر هذا الحقل تنوّع الطّبيعة الشّاميّة وقدرتها على احتواء المتناقضات الجماليّة، فهي الشّجر والنّهر وما يرادفها أو يصاحبها أو يتعالق معها[19]، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتيّة:

الارتفاع والامتداد	أرز، شاهقاً، الرّبى، الرّبوتين
الانبساط والسّهول	سهلاً، الأديم، شاطئاً
الفضاءات المفتوحة	البِيد، الصّحراء، الرّمال

– **حقل الأنسنة والوظيفة الشّعوريّة للمكان:** هنا ينتقل المكان من جماد إلى كائن يتفاعل مع الشّاعر، ويُصنّف وفق الوظيفة التي أدّاها في النّصّ:

* المكان الملاذ: (مراحاً لأحلامي، مغنى، ملعباً).
* المكان المانح: (سنابلُه نشوى، ريّان، مخصباً).
* المكان العطريّ: (عطر الأرز، ريّا الغوطتين، شمَّ مأرباً).
* المكان المقدّس/المتسامي: (السّماوات أغفت على الرّبى).

– **حقل (الجدب/ الخصوبة) ديناميكيّة المكان:** يبرز هذا الحقل الصّراع الوجوديّ للمكان وقدرته على التّجدّد، ويضمّ المفردات الآتيّة:

[19] **يُنظر: كليب، سعد الدّين. جماليّة المكان في شعر بدوي الجبل، ص239.**

* مؤشّرات الخصوبة: (ندّى، خضّب، ريان، مخصب، السّقيا، خضراً، الحيا).

* مؤشّرات الجدب (المتجاوزة عاطفياً): (مجدباً، خُلباً، هامد، الرّمال السّمر).

استخدم الشّاعر حقل (الماء، السّقيا، الخضرة) أداة توجيهيّة لصياغة معنى الاستمراريّة والحياة، عبر تكرار مفردات (ندّى، سقى، صيّب، ريان) مقابل مفردات (الخَطب، مجدباً، هامد) فيخلق صراعاً دلاليّاً ينتهي بانتصار الحياة، فيوجّه الشّاعر القارئ إلى أنَّ جغرافيا الشّام ليست مجرّد تراب، بل هي كائن حيّ يتوثب بمجرّد ملامسة الماء، ما يحول المعنى من وصف الطّبيعة إلى فلسفة الانبعاث الحضاريّ.

وعمل حقل (العطر/الشّمّ) وحقل (اللمس/اللثم) على نقل المكان من حيّزه المادّيّ إلى حيّزه النّفسيّ الصّرف، فحين يقول الشّاعر: (فمن شمَّ عطراً شمَّ لي فيه مأرباً)، فإنّه يدمج بين حاسة الشّمّ (فيزيائيّ) والمأرب (نفسيّ/تجريديّ)، وهذا التّداخل يوجّه المعنى نحو أنسنة الجغرافيا؛ فالمكان في النّصّ لا يُزار بالجسد فحسب، بل يُستحضر بالحواس، ما يجعل الانتماء للمكان حالة بيولوجيّة لا يمكن الفكاك منها.

وقد وجّهت أسماء الأمكنة (اللاذقيّة، حماة، حمص، حوران...) المعنى من الضّيق إلى الاتّساع، ومن الفرديّة إلى الجمعيّة، فحشد أسماء الأمكنة يخلق وحدة دلاليّة تُسمّى المكان الكلّيّ، ويوجّه هذا الحشد ذهن القارئ إلى نفي التّجزئة؛ فالدّعاء بالسّقيا والجمال يمتدّ ليشمل الجبل والسّهل والصّحراء والمدينة، ما يرسّخ معنى الوحدة العضويّة للإقليم في ذهن المُتلقّي، وهي رسالة مبطّنة ذات أبعاد سياسيّة.

وفي ختام النّصّ، يبرز حقل دلاليّ مرتبط بـ(السّماء، الكواكب، الأغفاء)، في: (أقطف كوكباً، السّماوات سافرت، أغفت على الرّبى)، ويعمل هذا الحقل على أسطرة المكان؛ فالمعنى هنا يتّجه نحو الأعلى، فلم يعد المكان مجرّد أرض سوريّة، بل صار مهداً للكون تنام فيه السّماوات، وهذا التّوجيه يرفع النّصّ من حيّز الشّعر القوميّ إلى حيّز الشّعر الوجوديّ/الكونيّ.

إنَّ أثر الحقول الدّلاليّة في هذا النّصّ يتجلّى في تحويل المكان الجغرافيّ إلى مكان أيديولوجيّ وجماليّ، فالحقول لم تصف المكان، بل أعادت خلقه؛ فحقل الخصوبة وجّه المعنى نحو الأمل، وحقل الأعلام وجّه المعنى نحو الهويّة، وحقل السّماء وجّه المعنى نحو التّقديس.

4- حقل القيم والأخلاق:

تتجاوز القيمة في أبعادها الاصطلاحيّة كونها مجرّد توصيف للمنفعة، لتمثل جوهراً يُحدّد استحقاق الشّيء للتّقدير؛ فمن منظور موضوعيّ، تُعرّف القيم بأنّها الخصائص الكامنة في الأشياء أو الأفكار التي تمنحها ثقلاً معنويّاً أو ماديّاً، وبناءً على ذلك، ينقسم الوجود القيميّ إلى مسارين:

1. قيم مطلقة: وهي التي تستمدّ مشروعيّتها من ذاتها كالحقّ والجمال، وتُطلب لذاتها لا لغرض نفعيّ عابر.
2. قيم نسبيّة (وظيفيّة): ترتبط بمدى إشباعها للحاجات الإنسانيّة وتحقيق الغايات النّفعيّة[20].

إنّ القيمة بهذا التّوصيف ليست مجرّد مُعطى، بل هي مُفرز سلوكيّ ناتج عن التّفاعل بين الذّات والموضوع، فهي تشكّل القواعد المعياريّة التي تُهيكل الوجود الإنسانيّ وتُعاير النُّظم الاجتماعيّة، محوّلةً الفعل البشريّ من حركة مجرّدة إلى ممارسة أخلاقيّة هادفة تتوخّى الرّقي المجتمعيّ.

[20] **يُنظر: الزّبيديّ، عبد الرّحمن. الفلسفة وقضايا العصر، دار إشبيليا، الرّياض – السّعوديّة، ط1، 1418هـ، ص42.**

وتتجلّى القيم آليّة اشتغال ذهنيّة ووجدانيّة تعكس الهوية الحضاريّة للفرد؛ فهي تمكّنه من ممارسة الانتقاء الواعي بين البدائل المتاحة، فالقيمة الحقيقيّة هي التي تتّسق فيها مستويات الفكر، والقول، والعمل، بحيث يندمج الفرد في نشاطه القيميّ بانسجام تامّ، مستعدّاً لتحمّل تبعاته من دون انتظار مردود مادّيّ مباشر[21]، هذا الامتثال الطّوعيّ هو ما يحوّل القيم من شعارات مجرّدة إلى موجّهات كونيّة تصوغ عادات الفرد وتدفع به نحو حقول السّموّ الأخلاقيّ والاجتماعيّ.

ويبرز حقل القيم في قصيدة (البلبل الغريب) في قول الشّاعر[22]:

تَـــــدَلَّهْتُ بِالإِيْثَـــــارِ كَهْـــــلاً وَيَافِعَـــــاً فَدَلَّلْتُـــــــهُ جَـــــــدَّاً وَأَرْضَـــــــيْتُهُ أَبَـــــــا
وَيَـــــا رَبِّ مِـــــنْ أَجْـــلِ الطُّفُولَـــةِ وَحْـــدَهَا أَفِـــضْ بَرَكَـــاتِ السِّـــلْمِ شَـــرْقَاً وَمَغْرِبَـــا

***

وَيَـــا رَبِّ فِـــي ضِـــيْقِ الزَّمَـــانِ وَعُسْـــرِهِ أَرَى الصَّـــــبْرَ آفَاقَـــــاً أَعَـــــزَّ وَأَرْحَبَـــــا
غَرِيْبَـــانِ لَكِنِّـــي وَفَيْـــتُ وَمَـــا وَفَـــى وَنَـــازَعَ حَبْـــلَ الـــوُدِّ حَتَّـــى تَقَضَّـــبَا
وَمِـــنْ حَقِّـــهِ أَنْ أَحْمِـــلَ الجُـــرْحَ رَاضِـــيَاً وَمِـــــنْ حَقِّـــــهِ أَنْ لا أَلُـــــومَ وَأَعْتُبَـــــا
وَمَـــا ضِـــقْتُ ذَرْعَـــاً بِالمَشِـــيْبِ فَـــإِنَّنِي رَأَيْـــتُ الضُّـــحَى كَالسَّـــيْفِ عُرْيَـــانَ أَشْـــيَبَا

الموضوع هو التّسامي الرّوحيّ؛ إذ يشكّل الشّاعر منظومة قيميّة صلبة قوامها الإيثار المطلق، والصّبر الاستراتيجيّ، والوفاء المتجاوز للخذلان، عادّاً الأخلاق الدّرع والضّياء في مواجهة تقلّبات الزّمن وعسره.

يقوم هذا النّصّ على شبكة من العلاقات الدّلاليّة التي تربط بين البنى الصّغرى (المفردات) والبنى الكبرى (القيم/الرّؤيّة الكونيّة)؛ إذ تتحرّك الدّلالة في فضاء من التّوتر والانسجام لتحقيق الوحدة العضويّة للنّصّ، من هذه العلاقات:

– علاقة التّضايف والامتداد: ففي البيت الأوّل، نجد علاقة دلاليّة متينة بين (الإيثار) بوصفه قيمة، وبين (الزّمن) بتمثلاته (كهلاً، يافعاً، أباً، جَدّاً)، فالزّمن هنا إطار لاحتواء القيمة، وقد انتقلت علاقة التّدلّه بالإيثار عبر محاور الزّمن من الصّعود (يافعاً) إلى النّضج (كهلاً)، ما خلق علاقة تراكم دلاليّ تؤكّد أنّ القيمة في هذا النّصّ هي ثابت وجوديّ وليست انفعالاً عارضاً.

– علاقة التّضاد: تتجلّى في المقطع الثاني علاقة تضاد حاد بين فعل الشّاعر وفعل الآخر، في: (وفيتُ، ما وفى)، (حبل الودّ، تقضّبا)، فهذا التّقابل يولّد المعنى التّفاعلي، فالوفاء لا تكتمل دلالته في النّصّ إلا بوجود (الخذلان)، فالشّاعر يؤسّس لأخلاقيّة المسافة؛ إذ تنفصل استجابة الذّات الأخلاقيّة عن فعل الآخر، ما يعزّز دلالة الاستقلال القيميّ.

– علاقة الاستلزام: في قوله: (وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ أَحْمِلَ الجُرْحَ)، تبرز علاقة دلاليّة مدهشة تقلب الموازين العرفيّة، ففي المنطق المعتاد، (الجرح) يستلزم (القصاص)، لكنّه عند الشّاعر يستلزم (الرّضا وعدم العتاب)، فقد أخرج الشّاعر (العتاب واللوم) من حقل الحقوق الشّخصيّة وأدخل (الصّبر والصّمت) في حقل حقوق الآخر، وهذا الرّبط يعيد تعريف (الوفاء) بوصفه تضحيّة واعيّة لا مجرّد تبادل للمنافع.

---

[21] يُنظر: خليفة، عبد اللطيف محمّد. ارتقاء القيم – دراسة نفسيّة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد160، 1992م، ص39.

[22] بدوي الجبل. ديوان بدوي الجبل، ص161–162، 164.

إنّ العلاقات الدّلاليّة في النّصّ لم تُبنَ على التّراكم اللفظيّ، بل على التّوتر القيميّ، فقد نجح الشّاعر في ربط (الضّيق) بـ (الاتّساع)، و(الجرح) بـ (الرّضا)، و(الشّيب) بـ (المضاء)، ليخرج بنتيجة دلاليّة نهائيّة مفادها أنّ الأخلاق هي القوّة الوحيدة القادرة على تحويل الانكسار البشريّ إلى إشراق وجوديّ.

ويمكن حصر الحقول الدّلاليّة في النّصّ وفق الآتي:

– **حقل أخلاق التّجاوز والتّسامي:** وهو الحقل المُهيمن، ويمثل الذّروة الأخلاقيّة في النّصّ، فتتحوّل العلاقة مع الآخر إلى ممارسة ذاتيّة منضبطة بوازع داخليّ لا خارجيّ، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتيّة:

الإيثار، وفيتُ، أحمل الجرح راضياً، لا ألوم، لا أعتب، حبل الودّ

يظهر هذا الحقل الفضائل الفائقة؛ فالشّاعر لا يكتفي بالعدل (المقابلة بالمثل)، بل ينزع نحو الإحسان عبر تحمّل الأذى (الجرح) وصيانة الودّ المقطوع، ما يحوّل (الوفاء) من مجرّد ردّ فعل إلى ماهيّة متجذّرة في النّفس.

– **حقل الاستعلاء الرّوحي على الزّمن:** يرتبط هذا الحقل بكيفيّة صمود القيم أمام عامل الزّمن (التّقدّم في السّنّ) وتحوّلات الظّروف (العسر والضّيق)، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتيّة:

كهلاً، يافعاً، ضيق الزّمان، عسره، الصّبر، المشيب، الضّحى، السّيف، أشيبا

ينتقل الصّبر هنا من كونه استسلاماً إلى كونه آفاقاً أرحب؛ أي أنّه أداة استشرافيّة للمستقبل، وقد أضفت استعارة (السّيف/الأشيب) صفة الصّرامة الأخلاقيّة على التّقدّم في السّنّ، فالمشيب ليس خريفاً للعمر بل هو ضحى مشرق وقاطع كالسّيف.

– **حقل المُقدّس والكونيّة:** يتجلّى في هذا الحقل البُعد الرّوحيّ الذي يمنح القيم شرعيّتها المتعاليّة، ويربط الخاصّ (الطّفولة) بالعام (الشّرق والمغرب)، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتيّة:

يا ربّ، الطّفولة، بركات السّلم، شرقاً، مغرباً

تمثل الطّفولة في النّصّ المرجع الأخلاقيّ الأوّل (البراءة الفطريّة)، بينما يمثل السّلم الغايّة الكونيّة، والتوجّه بالدّعاء (يا رب) يخرج القيم من حيّز الفلسفة النّظريّة إلى حيّز الإيمان السّلوكيّ، ما يمنحها صبغة القداسة والشّمول، فهي "نفحات إنسانيّة يبوح بها البدويّ، ليدلّل على عمق إنسانيّ بعيد الغور، إنّه يتضرّع إلى الله تعالى أن يعمّ السّلام أنحاء الأرض، ويبتهل إليه أن يسود الوئام أرجاءها، كيما ينعم الأطفال بالسّعادة ورغد العيش"[23].

– **حقل العلاقات والتّرابط الاجتماعيّ:** يحدّد هذا الحقل الإطار الإنسانيّ الذي تمارس فيه هذه الأخلاق، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتيّة:

أباً، جداً، غريبان، حبل الودّ

تبرز هنا أدوار الأب والجدّ، حتّى في حالة الاغتراب (غريبان)، فتظلّ القيمة الأخلاقيّة هي الرّابط الوحيد الذي يرفض الشّاعر بتره رغم تصرّم الأسباب.

كان للحقول الدّلاليّة أثر في توجيه المعنى؛ فالشّاعر لا يختار مفرداته اعتباطاً، بل يشيد نسقاً لغويّاً يوجّه المُتلقّي نحو أيديولوجيا أخلاقيّة محدّدة.

---

[23] امرير، شاهر. الجانب الإنسانيّ في شعر بدوي الجبل، ضمن كتاب: وقائع النّدوة العربيّة عن الشّاعر العربيّ الكبير بدوي الجبل، إعداد وجمع: الأستاذ نزيه الخوري، منشورات وزارة الثقافة، سورية، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، الكويت، 2007م، ص359.

فقد عملت هذه الحقول الدّلاليّة على توجيه المعنى عبر التّقابل الدّلاليّ، فاعتمد الشّاعر تقنيّة التّقابل بين حقلين: حقل (الضّيق/العسر، الجرح/النّزاع)، وحقل (الصّبر/الرّضا، الوفاء/الآفاق)، وهذا التّقابل لم يكن لبيان التّضاد فحسب، بل لتوجيه المعنى نحو قوّة الذّات، فكلّما اتّسع حقل الألم المادّيّ، قابله اتّساع أعمق في حقل الاستعلاء القيميّ، فالمعنى هنا يتّجه ليخبرنا أنّ القيمة الأخلاقيّة ليست فطريّة ساكنة، بل هي فعل مقاومة يتخلّق في رحم الشّدّة.

وعملت هذه الحقول على توجيه الغاية عبر حقل الكونيّ والمقدّس، فاستخدام حقل (يا ربّ، السّلم، بركات، الشّرق والغرب) يعمل موجّهاً سياقيّاً ينقل النّصّ من التّجربة الفرديّة المحدودة إلى القيمة الإنسانيّة الشّاملة، فهذا الحقل يمنح المعنى صبغة إطلاقيّة، فالتّدلّه بالإيثار هو جزء من منظومة كونيّة يباركها الخالق ويحتاجها العالم (الشّرق والمغرب)، وبذلك يتمّ توجيه المُتلقّي ليرى في أخلاق الشّاعر نموذجاً لما يجب أن يكون عليه السّلوك البشريّ العامّ.

وعملت الحقول الدّلاليّة على تحويل القيم المجرّدة (الوفاء، الصّبر، الإيثار) إلى أشياء ملموسة أو ذوات مشخّصة (أنسنة القيم)، فاستخدام حقل (دلّكته، أرضيته، أحمل الجرح، حبل الودّ، الضّحى كالسّيف)، وجّه المعنى نحو تجذير القيمة في الواقع السّلوكيّ، فالوفاء ليس فكرة، بل هو (حبل) قد يتقضّب، والصّبر ليس سكوناً، بل هو آفاق نراها، وهذا الأثر الدّلاليّ يجعل من الأخلاق كياناً حيويّاً يعيش مع الشّاعر، ما يعزّز صدق التّجربة الشّعوريّة ويقنع المُتلقّي بصلابتها.

وعملت الحقول الدّلاليّة على التّوجيه الزّمانيّ والمكانيّ للفضيلة، فربط الشّاعر القيم بحقول زمنيّة (يافعاً، كهلاً، المشيب، الضّحى) وحقول مكانيّة (شرقاً، غرباً، آفاقاً)، ما أدّى إلى تحقيق شموليّة المعنى واستمراريّته، وتوجيه المُتلقّي هنا يرمي إلى أنّ الأخلاق ليست موقفاً طارئاً ارتبط بلحظة ضعف أو قوّة، بل هي خطّ بيانيّ صاعد يمتدّ من الطّفولة إلى المشيب، ومن الذّات إلى الآفاق الجغرافيّة الرّحبة، وهذا يمنح النّصّ ديمومة دلاليّة تتجاوز المناسبة التي قيل فيها.

وجاء حقل (المشيب، الضّحى، السّيف) في النّهايّة ليعيد توجيه دلالة الضّعف الإنسانيّ إلى قوّة أخلاقيّة، فتحوّل المشيب من رمز للأفول إلى رمز للوضوح والمضاء، وهذا التّوجيه يحمي النّصّ من الانزلاق إلى نبرة الانكسار أو المظلوميّة (بسبب خذلان الصّديق)، ويختمه بنبرة الانتصار القيميّ، فتشرق الحكمة كالسّيف العريان الذي لا يخفي حقيقته.

إنّ الحقول الدّلاليّة في النّصّ لم تكن مجرّد أوعيّة للألفاظ، بل كانت بوصلة إدراكيّة وجّهت المعنى من (الذّاتيّ إلى الكونيّ)، ومن (الانكسار إلى الاستعلاء)، ومن (التّجريد الوعظيّ إلى التجسيد السّلوكيّ)، وقد نجح الشّاعر في جعل اللغة مرآة للصّلابة الأخلاقيّة، بحيث لا يخرج القارئ بتجربة وجدانيّة فحسب، بل برؤيّة فلسفيّة متماسكة حول جدوى الفضيلة في زمن العسر.

5- حقل المعجم الدّينيّ:

يمثّل حقل التّراث الدّينيّ جانباً روحيّاً فكريّاً للأمّة؛ لأنّه يرتبط بالمعتقدات والطّقوس والشّعائر والنّصوص المقدّسة، والأساطير الدّينيّة التي اعتنقتها ومارستها أجيال متتالية، فالتّراث الدّينيّ عنصر أساسيّ في تكوين الهوية الرّوحيّة والثقافيّة لأي مجتمع؛ لأنّها تبرز وعي الإنسان للحياة والوجود والغاية منهما، وهذا التّراث مكوّن من عناصر شتّى تتمثل في النّصوص الدّينيّة، والشّعائر، والطّقوس، والمعتقدات والخرافات الشّعبيّة، وتتجلّى أهمّيتها في تعزيز الهوية الرّوحيّة ونقل القيم والأخلاق الإيجابيّة، واستيعاب الظّواهر الرّوحيّة والكونيّة وتفسيرها، وتعميق الإلهام الفنّي والثقافيّ.

ويبرز الحقل الدّينيّ في قصيدة (البلبل الغريب) في قول الشّاعر[24]:

وَيَـــا رَبِّ مِـــنْ أَجْـــلِ الطُّفُولَـــةِ وَحْـــدَهَا أَفِـــضْ بَرَكَـــاتِ السِّـــلْمِ شَـــرْقاً وَمَغْرِبَـــا
وَرُدَّ الأَذَى عَـــنْ كُـــلِّ شَـــعْبٍ وَإِنْ يَكُـــنْ كَفُـــوْراً وَأَحْبِبْـــهُ وَإِنْ كَـــانَ مُـــذْنِبَا
وَصُـــنْ ضِـــحْكَةَ الأَطْفَـــالِ يَـــا رَبِّ إِنَّهَـــا إِذَا غَـــرَّدَتْ فِـــي مُـــوْحِشِ الرَّمْـــلِ أَعْشَـــبَا
مَلائِـــكُ لا الجَنَّـــاتُ أَنْجَـــبْنَ مِـــثْلَهُمْ وَلا خُلْـــدُهَا – أَسْـــتَغْفِرُ اللهَ – أَنْجَبَـــا
وَيَـــا رَبِّ حَبِّـــبْ كُـــلَّ طِفْـــلٍ فَـــلا يَـــرَى وَإِنْ لَـــجَّ فِـــي الإِعْنَـــاتِ وَجْهَـــاً مُقَطَّبَـــا
وَيَـــا رَبِّ: إِنَّ القَلْـــبَ مِلْكُـــكَ إِنْ تَشَـــأْ رَدَدْتَ مَحِيْـــلَ القَلْـــبِ رَيَّـــانَ مُخْصِـــبَا

***

وَيَـــا رَبِّ فِـــي ضِـــيْقِ الزَّمَـــانِ وَعُسْـــرِهِ أَرَى الصَّـــبْرَ آفَاقَـــاً أَعَـــزَّ وَأَرْحَبَـــا
صَـــلِيْبٌ عَلَـــى غَمْـــزِ الخُطُـــوبِ وَعَسْـــفِهَا وَلَـــولا زَغَالِيْـــلُ القَطَـــا كُنْـــتُ أَصْـــلَبَا

***

وَيَـــا رَبِّ أَحْزَانِـــي وِضَـــاءٌ كَـــأَنَّنِي سَـــكَبْتُ عَلَـــيْهِنَّ الأَصِـــيْلَ المُـــذَهَّبَا

***

وَيَـــا رَبِّ: دَرْبٌ فِـــي الحَيَـــاةِ سَـــلَكْتُهُ وَمَـــا حِـــدْتُ عَنْـــهُ لَـــوْ عَرَفْـــتُ المُغَيَّبَـــا
وَيَـــا رَبِّ: عِـــزٌّ مِـــنْ أُمَيَّـــةَ لا انْطَـــوَى وَيَـــا رَبِّ: نُـــوْرٌ وَهَّـــجَ الشَّـــرْقَ لا خَبَـــا
كَـــذَلِكَ لُطْـــفُ اللهِ فِـــي كُـــلِّ مِحْنَـــةٍ وَإِنْ حَشَـــدَ الـــدَّهْرُ القُنُـــوطَ وَأَلَّبَـــا
وَطَـــافَ الغَمَـــامُ السَّـــمْحُ فِـــي البِيْـــدِ نَاسِـــكَاً إِلَـــى اللهِ فِـــي سُـــقْيَا الظِّمَـــاءِ تَقَرَّبَـــا
دِيَـــارِي وَأَهْلِـــي بَـــارَكَ اللهُ فِيْهِمَـــا وَرَدَّ الرِّيَـــاحَ الهُـــوْجَ أَحْنَـــى مِـــنَ الصَّـــبَا

***

تَغَـــرَّبَ عَـــنْ مُخْضَـــلَّةِ الـــدَّوْحِ بُلْبُـــلٌ فَتَشَـــرَّقَ فِـــي الـــدُّنْيَا وَحِيْـــداً وَغَرَّبَـــا
وَغَمَّـــسَ فِـــي العِطْـــرِ الإِلَهِـــيِّ جَانِحَـــاً وَزُفَّ مِـــنَ النُّـــورِ الإِلَهِـــيِّ مَوْكِبَـــا

الموضوع في النّصّ ليس مجرّد دعاء، بل هو استراتيجيّة صمود تبحث عن السّلم العالميّ من خلال براءة الطّفولة، وعن السّلم الدّاخليّ من خلال الرّضا بالقدر، وعن البعث الحضاريّ من خلال التّوسّل بالألطاف الإلهيّة.

وقد بني النّصّ على عدد من العلاقات الدّلاليّة، والتي يمكن رصدها في الآتي:

علاقة التّضايف: تهيمن بنيّة النّداء (يا ربّ) على مطلع أغلب المقاطع، وهي ليست مجرّد أداة تنبيه، بل هي بؤرة نصّيّة تتفرّع منها علاقات طلبيّة، فالرّبط بين النّداء وأفعال الأمر (أفض، رُدَّ، صُنْ، أحبِبْ) يخلق علاقة تضايفيّة بين القوّة المطلقة والعجز الإنسانيّ، وهذا التّكرار النّصّيّ يعمل رابطاً إيقاعيّاً دلاليّاً يمنع تشتّت النّصّ، ويجعل من كلّ بيت وحدة توسّليّة تصبّ في مجرى اليقين الإلهيّ.

[24] **بدوي الجبل. ديوان بدوي الجبل، ص161-165، 167-169.**

علاقة التّقابل والضّدّيّة: يقوم النّصّ على بنيّة عميقة من الصّراع الدّلاليّ بين حقلين متنافرين؛ إذ تُدار العلاقة بينهما بمبدأ الاحتواء، وتبرز الثنائيّات الضّدّيّة في: (ضيق الزّمان، آفاق أعز)، (موحش الرّمل، أعشبا)، (القنوط، اللطف)، (الرّياح الهوج، الصّبا)، فلا يكتفي النّصّ برصد الضّدّين، بل يقيم علاقة إزاحة دلاليّة؛ فالفعل الإلهيّ (اللطف، السّقيا، المباركة) يتدخّل نصّيّاً لكسر حدّة الطّرف السّلبيّ، فالرّياح الهوج تُرد أحنى من الصّبا، والقلب المحيل يُرد ريّان.

علاقة التّضمين والحلول: تتجلّى هذه العلاقة في الرّبط بين الطّفولة والمقدّس، وبين الشّاعر والمطلق، فالعلاقة بين ضحكة الأطفال واخضرار الرّمل (إذا غرّدت... أعشبا) هي علاقة سببيّة غيبيّة، والنّصّ هنا يخرج من التّقريريّة إلى التّخييل الدّلاليّ، فتصبح البراءة شرطاً نصّيّاً للوجود والخصب.

وفي نهايّة النّصّ (وغمّس في العطر الإلهيّ جانحاً)، تتحوّل العلاقة من انفصال (شاعر يطلب من ربّ) إلى اتّصال (بلبل يذوب في موكب النّور)، وهذه العلاقة الانتقاليّة هي التي تمنح النّصّ إغلاقه الدّلاليّ، فتنتهي أزمة الغربة بالحلول في النّور.

ويمكن حصر الحقول الدّلاليّة في النّصّ السابق وفق الآتي:

– **حقل الذّات الإلهيّة والصّفات:** وهو القطب المهيمن الذي يدور حوله النّصّ، ويمثل مرجعيّة الاستغاثة واليقين، ويضمّ هذا الحقل المفردات الآتيّة:

يا ربّ تكرّرت تسع مرّات كترجيع صوتيّ ونفسيّ، الله، ملكك، تشأ، لطف الله

يظهر هذا الحقل مفهوم الرّبوبيّة المطلقة والقيم المهيمنة على الوجود؛ إذ تُسند الأفعال المحوريّة (الفيض، الرّدّ، الصّون، الإحباط، الإحياء) إلى الإرادة الإلهيّة وحدها.

– **حقل الطّقوس والقيم التّعبّديّة:** ويشمل المفردات التي تنقل النّصّ من الحالة الذّهنيّة إلى الحالة الشّعائريّة والسّلوكيّة، وهي:

أستغفر الله، الصّبر، بارك، ناسكاً، تقرّب، العطر الإلهيّ، النّور الإلهيّ

يبرز هنا مصطلح (النّاسك) دلالة على الانقطاع لله، وتوظيف (الاستغفار) آليّة لتصحيح المسار المعنويّ بعد الشّطح الشّعريّ، ما يضفي صبغة التّصوّف الوجدانيّ على التّجربة.

– **حقل الميتافيزيقا والغيبيّات:** وهو الحقل الذي يتجاوز عالم الشّهادة إلى عالم الغيب، لإضفاء القدسيّة على الموصوفات، ويضمّ المفردات الآتيّة:

الجنّات، خلدها، ملائك، المغيّب

فاستدعاء صورة (الملائكة) و(الخلد) ليس لغرض الوصف المادّيّ، بل لرفع قيمة الطّفولة إلى مرتبة متعاليّة عن الأرضيات.

– **حقل الآثار الرّوحيّة والفيض الإلهيّ:** ويتعلّق بما يتركه الاتّصال بالخالق من آثار على النّفس والكون، ويضمّ المفردات الآتيّة:

بركات، السّلم، اللطف، وضاء، نُوْر، سُقيا الظّماء

ينتقل المعجم الدّينيّ هنا من التّجريد إلى التّجلّي؛ فالنّور والبركة واللطف هي الأدوات التي يحارب بها الشّاعر (ضيق الزّمان) و(الرّماح الهوج)، ما يجعل الدّين في النّصّ قوّة فاعلة لا مجرّد معتقد ساكن.

وكان لهذه الحقول أثرها في توجيه المعنى؛ إذ يفرض الحقل الدّينيّ هيمنة مطلقة على النّصّ، ليس فقط من خلال التّكرار الكمّيّ لنداء (يا ربّ)، بل من خلال توجيه القصديّة نحو الاستلاب الإيجابيّ، فبدلاً من أن يتّجه المعنى نحو اليأس أمام (ضيق الزّمان) و(عسف الخطوب)، قام الحقل الدّينيّ بتحويل الوجهة الجماليّة نحو (الصّبر) و(الرّضا)، وهنا يوجّه الحقل المعنى من (الشّكوى من الدّهر) إلى (الرّجاء في الرّبّ).

ويحدث في النّصّ تلاحم بين حقل البراءة (الطّفولة) وحقل الميتافيزيقا (الجنّات/الملائك)، وهذا التّداخل وجّه المعنى نحو (أنسنة الغيب) و(تقديس الواقع)، فعندما يصف الأطفال بأنّهم (ملائك لا الجنّات أنجبن مثلهم)، فإنّه يكسر أفق التّوقّع لدى القارئ؛ إذ يوجّه المعنى نحو أنّ (القداسة) ليست في الغيب البعيد فحسب، بل في ضحكة طفل على (موحش الرّمل)، وهذا التّوجيه يجعل من (الطّفولة) حجّة أخلاقيّة يواجه بها الشّاعر قسوة الحروب (شرقاً ومغرباً).

ويستخدم الشّاعر حقل الطّبيعة (الرّمل، أعشبا، الغمام، الرّياح، الصّبا، الدوّح) مرآة للحالة الإيمانيّة؛ إذ يُوجّه المعنى لربط الفيض الإلهيّ بالخصوبة الكونيّة، فالقلب (محيْل) يابس لكنّه بقدرة الله يصبح (ريّان مخُصباً)، وهذا التّوظيف يجعل القارئ يدرك أنّ الأزمة في النّصّ ليست ماديّة بل هي (جفاف روحيّ) لا يعالجه إلا سُقيا اللطف الإلهيّ.

ويعمل النّصّ على ثنائيّة حقول متضادة وجّهت المعنى، هي:

- الحقل السّلبيّ (الدّهر/المحنة): (ضيق الزّمان، عسفه، الرّياح الهوج، القنوط، موحش الرّمل).
- الحقل الإيجابيّ (اللطف/الأمل): (السّلم، ضحكة الأطفال، اللطف الخفيّ، العطر الإلهيّ).

وهذا التّقابل يوجّه المعنى نحو الحتميّة التّفاؤليّة، فكلّ مفردة قاسيّة في النّصّ تقابلها مفردة من الحقل الدّينيّ تحتوِيها وتلغي أثرها، ما يوجّه الدّلالة الكلّيّة للنّصّ نحو السّكينة بدلاً من الاضطراب.

إنّ أثر الحقول الدّلاليّة في هذا النّصّ تجاوز الوظيفة الإخباريّة إلى الوظيفة التّغييريّة؛ فنجح الشّاعر من خلال المعجم الدّينيّ في إعادة صياغة الوجع الإنسانيّ وتأطيره داخل إطار الجمال الإلهيّ.

خاتمة:

في ختام هذه الدّراسة لقصيدة (البلبل الغريب)، نخلص إلى أنّ بنية الحقول الدّلاليّة لدى بدوي الجبل لم تكن مجرّد رصٍّ معجميّ للألفاظ، بل كانت استراتيجيّة لغويّة متكاملة أعاد من خلالها الشّاعر صياغة الوجود شعريّاً، وقد توصّل البحث إلى النّتائج الآتية:

1- كشف البحث أنّ النّصّ يقوم على بنية التّقابل الضّدّيّ؛ إذ تداخل حقل الألم بحقل اللذّة، وحقل الاحتراق بحقل النّماء، وهذا التّداخل لم يؤدِّ إلى تشتّت الدّلالة، بل أنتج وحدة عضويّة جسّدت مذهب الشّاعر في أرستقراطيّة المعاناة، فيغدو الوجع شرطاً للتّحقّق والارتقاء الرّوحيّ.

2- أثبتت الدّراسة أنّ الحقول الدّلاليّة تحرّكت وفق هندسة دقيقة بدأت من (أنا) الشّاعر المغتربة (حقل المعاناة)، لتتمركز حول الآخر (حقل الطّفولة)، وتنتهي بالانفتاح على الفضاء الكونيّ (حقل السّلم والخصوبة)، هذا التّحوّل نقل القصيدة من حيّز التّجربة الوجدانيّة الشّخصيّة إلى آفاق الإنسانيّة المطلقة.

3- قدّم الشّاعر رؤية لسانيّة تقلب الموازين القيميّة من خلال حقل (الطّفولة)؛ فاستخدم مفردات (الجور، الظّلم، النّهب) ليعبّر عن أقصى درجات الاستسلام العاطفيّ والرّضا الوجدانيّ، وبذلك، تحوّل الطّفل من كائن بيولوجيّ إلى مركز أخلاقيّ، وقوّة قادرة على تفتيت صلابة الوعي وتطويع اغتراب الذّات.

4- نجحت الحقول الدّلاليّة في القيام بدور الموجّه للمُتلقّي، فقد اشتغلت على استبدال المفاهيم التّقليديّة للحزن (من الكآبة إلى الإشراق والوضاءة)، ما جعل النّصّ يُمارس وظيفة تطهيريّة تنتهي بتحويل الجرح الشّخصيّ إلى نغمٍ كونيّ يطرب الآخرين (فأشجى وأطربا).

وفي النّهاية، تمثل قصيدة (البلبل الغريب) نموذجاً للواقعيّة الوجدانيّة، فقد استطاع بدوي الجبل عبر شبكة معقّدة من الحقول الدّلاليّة أن يبني جسراً بين عثرات الواقع وجماليّات المُتخيّل، فكانت الحقول الدّلاليّة في هذا النّصّ صانعةً للمعنى.

المراجع (References)

[1] اسليم، فاروق. الصّحراء في شعر بدوي الجبل، ضمن كتاب: وقائع النّدوة العربيّة عن الشّاعر العربيّ الكبير بدوي الجبل، إعداد وجمع: الأستاذ نزيه الخوري، منشورات وزارة الثقافة، سورية، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، الكويت، 2007م.

[1] F. Aslim. The Desert in the Poetry of Badawi al-Jabal, in: Proceedings of the Arab Symposium on the Great Arab Poet Badawi al-Jabal, prepared and compiled by: Professor Nazih al-Khoury, Publications of the Ministry of Culture, Syria, Abdul Aziz Saud al-Babtain Foundation for Poetic Creativity, Kuwait, 2007.

[2] امرير، شاهر. الجانب الإنسانيّ في شعر بدوي الجبل، ضمن كتاب: وقائع النّدوة العربيّة عن الشّاعر العربيّ الكبير بدوي الجبل، إعداد وجمع: الأستاذ نزيه الخوري، منشورات وزارة الثقافة، سورية، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، الكويت، 2007م.

[2] SH. Amrir. The Human Aspect in the Poetry of Badawi al-Jabal, in: Proceedings of the Arab Symposium on the Great Arab Poet Badawi al-Jabal, prepared and compiled by: Professor Nazih al-Khoury, Publications of the Ministry of Culture, Syria, Abdul Aziz Saud al-Babtain Foundation for Poetic Creativity, Kuwait, 2007.

[3] بدوي الجبل. ديوان بدوي الجبل، دار العودة، بيروت– لبنان، ط1، 1987م.

[3] B. al-Jabal. Diwan of Badawi al-Jabal, Dar al-Awda, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1987.

[4] برهم، لطفية إبراهيم. رمز الصّحراء في شعر بدوي الجبل، ضمن كتاب: وقائع النّدوة العربيّة عن الشّاعر العربيّ الكبير بدوي الجبل، إعداد وجمع: الأستاذ نزيه الخوري، منشورات وزارة الثقافة، سورية، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، الكويت، 2007م.

[4] L. Ibrahim Barham. The Symbol of the Desert in the Poetry of Badawi al-Jabal, in the book: Proceedings of the Arab Symposium on the Great Arab Poet Badawi al-Jabal, prepared and compiled by: Professor Nazih al-Khouri, Publications of the Ministry of Culture, Syria, Abdul Aziz Saud al-Babtain Foundation for Poetic Creativity, Kuwait, 2007.

[5] ابن بغداد، أحمد. شعريّة المكان في الشّعر الجاهليّ – المعلّقات العشر أنموذجاً، رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015–2016 م.

[5] A. Ibn Baghdad. The Poetics of Place in Pre-Islamic Poetry – The Ten Odes as a Model, PhD dissertation, University of Djillali Liabes, Sidi Bel Abbes, 2015-2016.

[6] خليفة، عبد اللطيف محمّد. ارتقاء القيم – دراسة نفسيّة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد160، 1992م.

[6] Ab. Latif Muhammad Khalifa. The Elevation of Values – A Psychological Study, Alam al-Ma'rifah Series, Kuwait, No. 160, 1992.

[7] الخنساء. ديوان الخنساء، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت – لبنان، 1963م.

[7] Al-K. Diwan al-Khansa, edited by: Karam al-Bustani, Dar Sader, Beirut, Lebanon, 1963.

[8] الزّبيديّ، عبد الرّحمن. الفلسفة وقضايا العصر، دار إشبيليا، الرّياض – السّعوديّة، ط1، 1418هـ.

[8] Ab. Rahman Al-Zubaidi. Philosophy and Contemporary Issues, Dar Ishbiliya, Riyadh, Saudi Arabia, 1st edition, 1418 AH.

[9] زلط، أحمد. أدب الطّفولة أصوله – مفاهيمه – روّاده، الشّركة العربيّة للنّشر والتّوزيع، القاهرة – مصر، ط2، 1994م.

[9] A. Zalat. Children's Literature: Its Origins, Concepts, and Pioneers. Arab Publishing and Distribution Company, Cairo, Egypt, 2nd ed., 1994.

[10] سعيد، مبارك. الجماليّة في شعر بدوي الجبل، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق – سورية، ط1، 2024م.

[10] M. Saeed. Aesthetics in the Poetry of Badawi al-Jabal. Arab Writers Union Publications, Damascus, Syria, 1st ed., 2024.

[11] صليبا، جميل. المعجم الفلسفيّ (عربي، فرنسي، إنجليزي، لاتيني)، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، 1982 م.

[11] J. Saliba. The Philosophical Dictionary (Arabic, French, English, Latin). Lebanese Book House, Beirut, Lebanon, 1982.

[12] عبد الجليل، عبد القادر. علم اللسانيّات الحديثة، دار صفاء، عمّان – الأردن، ط1، 2002م.

[12] Ab. Qadir Abdul Jalil. Modern Linguistics. Safaa Publishing House, Amman, Jordan, 1st ed., 2002.

[13] العبيدي، حسن مجيد. نظريّة المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ط1، 1987م.

[13] H. Majeed Al-Ubaidi. The Theory of Place in the Philosophy of Ibn Sina. General Cultural Affairs House, Baghdad, 1st ed., 1987.

[14] عمر، أحمد مختار. علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط4، 1993م.

[14] A. Mukhtar Omar. Semantics, Alam Al-Kutub, Cairo, Egypt, 4th edition, 1993.

[15] فروجي، رابح. التّجربة الشّعريّة في شعر بدوي الجبل، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. امحمّد عزوي، جامعة فرحات عبّاس، سطيف – الجزائر، 2012م.

[15] R. Farouji. The Poetic Experience in the Poetry of Badawi al-Jabal, PhD dissertation, supervised by Dr. Muhammad Azzoui, Ferhat Abbas University, Setif, Algeria, 2012.

[16] كليب، سعد الدّين. جماليّة المكان في شعر بدوي الجبل، ضمن كتاب: وقائع النّدوة العربيّة عن الشّاعر العربيّ الكبير بدوي الجبل، إعداد وجمع: الأستاذ نزيه الخوري، منشورات وزارة الثّقافة، سورية، مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ، الكويت، 2007م.

[16] S. al-Din Kulaib. The Aesthetics of Place in the Poetry of Badawi al-Jabal, in the book: Proceedings of the Arab Symposium on the Great Arab Poet Badawi al-Jabal, prepared and compiled by Professor Nazih al-Khouri, published by the Ministry of Culture, Syria, Abdul Aziz Saud al-Babtain Foundation for Poetic Creativity, Kuwait, 2007.

[17] ابن منظور. لسان العرب، تصحيح: أمين محمّد عبد الوهّاب، ومحمّد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، مؤسّسة التّاريخ الإسلاميّ، بيروت – لبنان، ط3، 1419 هـ – 1999 م.

[17] Ibn M. Lisan al-Arab, edited by Amin Muhammad Abdul Wahhab and Muhammad al-Sadiq al-Ubaidi, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Islamic History Foundation, Beirut, Lebanon, 3rd edition, 1419 AH - 1999 CE.